أبو الحسن علي بن عيسى الرماني
وآراؤه الكلامية

إعداد الدكتور
إبراهيم سليمان سويلم
مدرس العقيدة والفلسفة
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ببورسعيد

أبو الحسن علي بن عيسى الرماني وآراؤه الكلامية

إبراهيم سليمان سويلم

قسم العقيدة والفلسفة ، شعبة أصول الدين ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ، بورسعيد ، جامعة الأزهر . مصر

البريد الالكتروني: Ibrahemswealam2592@.el@zhar.edu.eg

الملخص:

هذا البحث يتناول علمًا من أعلام المعتزلة المتقدمين، كان له إسهام كبير في الجانب الكلامي والآراء العقدية على مذهبهم، وهو أبو الحسن الرماني الذي يمثل حلقة وصل بين متقدمي المعتزلة ومتأخريهم حيث إنه تأثر بشيوخ المذهب في عصره ثم أثر في اللاحقين من بعده ، وقد أثبت هذا البحث أن الرماني معتزلي يتبين آراء المعتزلة الكلامية ويدافع عنها مثل صفات الله تعالى، وأفعال الله وأفعال العباد، وقضية الصلاح والأصلح، ثم تأتي أهم آراء الرماني وهي آراؤه في مسألة إعجاز القرآن حيث جاء فيها الرماني بآراء معتبرة أصبحت هي عمدة الآراء للباحثين في تلك القضية الهامة.

كلمات مفتاحية: الرماني ـ المعتزلة ـ صفات الله ـ أفعال الله وأفعال العباد ـ الصلاح والأصلح ـ إعجاز القرآن

Abul-Hassan Ali Inn Aessa AL-Rumani and his Theological Views

Ebrahim Suliman Suelum Suliman

College of Islamic and Arabic Studies for Girls, Port Said, Al-Azhar University, Egypt

Email: Ibrahemswealam2592@.el@zhar.edu.eg.

Abstract:

This research deals with one of the early Mu'tazilites, who had a great contribution to the theological aspect and the doctrinal opinions of their faith. He is Abul-Hassan Al-Rumani, who represents a link between the early and late Mu'tazilites. He was influenced by his old instructors of the creed in his time and then influenced those who came after him. This research has proven that Al-Rumani is a Mu'tazilite who clarifies and defends the opinions of the theological Mu'tazilites, such as the attributes of God Almighty and His deeds in addition to the deeds of the servants, and the issue of righteousness and the best. The most important opinions of Al-Rumani, are his views on the issue of the inimitability of the Qur'an. Where he came with significant opinions that became the mayor of opinions for researchers in this important issue.

Key words: Al-Rumani, Mu'tazila, Attributes of God, The deeds of God, and the Deeds of His servants, The righteousness and the Best, The Miracle of the Qur'an

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فعلى الرغم من أن هناك عديدًا من الدراسات التي تناولت شخصيات المدرسة الاعتزالية بالبحث والدراسة، سواء بالبحث المستقل لتلك الشخصيات، أو بالمقارنة بين فكرها وبين فكر بعض أعلام أهل السنة، إلا أننا مازلنا بحاجة ماسة إلى مواصلة البحث والدراسة عن شخصيات تلك المدرسة، سيما المتقدمين منهم، والذين لم ينالوا حظًا من البحث والدراسة لعدم شهرتهم بين الباحثين في الجانب الكلامي، وإن كانوا قد حققوا شهرة واسعة في جوانب أخرى من فروع العلم.

وقد كان من هؤلاء: أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، الذي ذاع صيته بين جموع الباحثين على أنه لغوي، نحوي وبلاغي، ومفسر للقرآن، صاحب تصانيف مشهورة في هذا، لكن الذي يجهله كثيرون أن الرماني بجانب هذه العلوم السابقة كان له إسهام كبير في الجانب الكلامي والآراء العقدية، وهذا الجانب هو ما يحاول هذا البحث أن يكشف عنه الستار.

وأبوالحسن الرماني من متقدمي المعتزلة الذين تأثروا بشيوخ المذهب في عصره، ثم أثر في اللاحقين من بعده أثرًا كبيرًا، بحيث لا نتجاوز الحقيقة إذا قررنا أن الرماني كان يمثل حلقة وصلٍ ربطت ما بين أوائل المعتزلة ومتقدميهم، وبين لاحقيهم ومتأخريهم.

وقد كان لآراء الرماني التي قال بها في كافة الفروع العلمية تأثير قوي في كل من جاء بعده.

فالرماني نحوي: ألّف في هذا الفرع الصعب من فروع علوم اللغة، وشرح كتاب سيبويه، فكان شرحه من الشروح التي غدت مثار إعجاب معاصريه ولاحقيه.

والرماني بلاغي: احتلت آراؤه في البلاغة عمومًا، وفي بلاغة القرآن خصوصًا أهمية كبيرة، حتى أصبحت آراؤه البلاغية عمدة البلاغيين من بعده.

والرماني مفسر: لا يشق له غبار، ألّف تفسيرًا كبيرًا، شبهوه بالبستان الذي فيه كل أنواع الثمر، والذي يجد فيه كل طالب ما يشاء من علوم القرآن الكريم، حتى إن معاصريه أقروا بأن الرماني لم يترك شيئًا في التفسير إلا ذكره في تفسيره.

والرماني كذلك منطقي: أتقن علم المنطق، حتى طوعه لتدريس علوم أخرى كالنحو الذي هو تخصصه الذي اشتهر به، وكان مزجه للمنطق بالنحو طريقة مبتكرة استغربها منه أهل عصره.

والرماني مع كل ذلك متكلم: له في علم الكلام مؤلفات كثيرة وآراء معتبرة ستحاول هذه الدراسة أن تكشف عنها في الصفحات التالية إن شاء الله.

لكن المشكلة التي تواجه الباحث في آراء الرماني الكلامية هي أن الرماني قد نُكب في تراثه الذي ضاع الجانب الأكبر منه، فيذكر له المترجمون كثيرًا من المؤلفات في فروع مختلفة، ومنها علم الكلام ولكنها فقدت جميعًا، خاصة مؤلفاته الكلامية التي لم يبق منها شيء.

والموجود بين أيدينا من كتب الرماني عدة كتب في اللغة، وكتاب واحد في إعجاز القرآن، وبعض الأجزاء من تفسيره "الجامع لعلم القرآن" عثر عليها بعض الباحثين وتناولوها بالبحث والدراسة، وهذه الكتب هي:

١ – رسالة الحدود، وهي رسالة ذكر فيها الرماني المصطلحات والألفاظ التي يحتاج إليها الباحث في علمي النحو والصرف، وقد تم طبع هذه الرسالة بتحقيق إبراهيم السامرائي وهو منشور بدار الفكر.

٢ – رسالتان في اللغة، وهما رسالتان ألفهما الرماني في علم النحو، وهما منشورتان بتحقيق إبراهيم السامرائي ـ دار الفكر ـ عمان٠

٣ – شرح كتاب سيبويه وهو كتاب مطبوع بتحقيق سيف عبدالرحمن العريفي ـ منشورات جامعة الإمام بالسعودية سنة ١٩٩٨م٠

٤ – توجيه إعراب أبيات ملغزة الإعراب، وهو كتاب منشور بتحقيق سعيد الأفغاني ـ مطبعة الجامعة السورية ـ دمشق سنة ١٩٥٨م٠

٥ – وأهم هذه الكتب الباقية له هو كتاب "النكت في إعجاز القرآن" وأجزاء متفرقة من تفسيره الجامع لعلم القرآن أوردها بعض المؤلفين في مؤلفاتهم، وهذا الكتاب مع هذه الأجزاء هي التي اعتمدت عليها في الكشف عن آراء الرماني الكلامية٠

على أن هناك دراسات حديثة عن الرماني في الجانب النحوي والبلاغي، إلا أنني لم أجد بحثًا مستقلاً عن الرماني المتكلم، فشرعت ـ بعون الله ـ في كتابة هذه الدراسة عن آراء الرماني الكلامية، راجيًا أن أكشف عن شخصية من شخصيات المدرسة الاعتزالية لها اسهام معتبر في الجانب الكلامي٠

وقد جاء هذا البحث بعنوان «**أبوالحسن علي بن عيسى الرماني وآراؤه الكلامية**»٠

مكونات البحث:

من خلال المادة العلمية التي جادت بها علينا المصادر عن الرماني، ومن خلال ما أتاحه لنا الرماني نفسه من آراء في كتبه التي نجت من الفقد والضياع، رأيت أن أتناول هذا البحث في ثلاثة فصول:

الفصل الأول بعنوان: من هو الرماني؟ وفي هذا الفصل نحاول أن نلقي الضوء عن الرماني لنبين ما نستطيع بيانه عن شخصية البحث من حيث: اسمه، ونسبه، ومولده، ووفاته، وحياته، ومكانته العلمية، ثم عقيدته، ومذهبه، ثم منهجه العام٠

وقد جاء هذا الفصل في أربعة مباحث:

المبحث الأول: اسم الرماني، ونسبه، ومولده، ووفاته٠

المبحث الثاني: حياة الرماني، ومكانته العلمية٠

المبحث الثالث: عقيدة الرماني ومذهبه٠

المبحث الرابع: منهج الرماني٠

والفصل الثاني بعنوان: الله : صفاته، وأفعاله عند الرماني٠

وقد جاء هذا الفصل في تمهيد أشرت فيه بإيجاز إلى الأصول الخمسة عند المعتزلة٠

والسبب في ذلك أن آراء الرماني التي سنذكرها هنا تندرج تحت أهم أصلين من أصول المعتزلة هما أصل التوحيد وأصل العدل٠

فالرماني قد تناول الصفات الإلهية وهي تندرج تحت أصل التوحيد، وقد تناول كذلك قضية أفعال الله وأفعال العباد، وقضية إعجاز القرآن، وهما يندرجان تحت أصل العدل عندهم٠

ثم جاء بعد هذا التمهيد مبحثان:

المبحث الأول: صفات الله ـ تعالى ـ عند الرماني٠

المبحث الثاني: أفعال الله وأفعال العباد عند الرماني٠

والفصل الثالث بعنوان: قضية إعجاز القرآن عند الرماني٠

ثم ذيلت البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج، ثم ثبتًا لأهم المصادر والمراجع وأخيرًا٠

وأخيرًا جاء الفهرس الذي اشتمل على موضوعات البحث، وقد بذلت ما أمكنني من جهد لمعرفة حقيقة آراء الرماني الكلامية، والتزمت النزاهة والموضوعية في التعبير عن تلك الأفكار مبينًا ما فيه من صواب، ومنبهًا على ما فيها من خطأ٠

فإن كنت وفقت في هذا فذلك من الله وحده لا شريك له الذي هو أهل الفضل والهداية والتوفيق، وإن كان من نقص فهو مني ومن الشيطان، ومن طبيعة العمل البشري أن يعتريه النقص والقصور ٠

الفصل الأول
من هو الرماني؟

الفصل الأول

من هو الرماني؟

المبحث الأول

اسم الرماني، ونسبه، ومولده، ووفاته

لقد أجمعت المصادر التي ترجمت للرماني على أنه من أشهر العلماء في عصره ـ إن لم يكن أشهرهم جميعًا ـ وكذلك أجمعت المصادر على أنه من متكلمي المعتزلة، ومن أكابر المفسرين للقرآن على مذهبهم.

أولاً: اسمه ونسبه:

هو: أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبدالله الرماني، أصله من سر من رأى، ومولده ببغداد سنة ست وتسعين ومائتين، من أفاضل النحويين والمتكلمين البغداديين(١).

ويظهر لنا من ذلك أنه منسوب إلى بغداد؛ ولذلك كان يأتي في ترجمته أنه بغدادي، ويظهر كذلك أنه اشتهر بعلم النحو حتى كان ينسب إليه فيقال عنه: النحوي(٢).

ومن المصادر ما كان يزيد في نسبته الإخشيدي نسبة إلى أستاذه الذي تخرج عليه وهو ابن الإخشيد(٣)، ومنهم من يزيد في اسمه أنه المتكلم(٤).

---

(١) ابن النديم: الفهرست صـ٩٤ . دار المعرفة . بيروت ١٣٩٨هـ . ١٩٧٨م.

(٢) القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة جـ٢ صـ٢٩٤ بتحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ـ الطبعة الأولى ١٩٨٢م ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة.

(٣) ياقوت الحموي: معجم الأدباء جـ٤ صـ١٨٢٦ بتحقيق إحسان عباس ـ الطبعة الأولى ١٩٩٣م . دار الغرب الإسلامي . بيروت.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ٤ صـ٢١٠ بتحقيق إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت ـ بدون تاريخ.

ولكن المصادر جميعًا تتفق على أن أشهر نسبة له هي الرُّمَّاني، وهذه النسبة كما يقول السمعاني: (بضم الراء وتشديد الميم وفي آخرها نون بعد الألف، هذه النسبة إلى الرمان وبيعه، وبواسط قصر معروف يقال له قصر الرمان، ومن المشهورين به أبو الحسن علي بن عيسى المتكلم)[١].

وقد ذكر ابن خلكان أيضا هذه النسبة «الرُّمَّاني» إلى الرمان وبيعه، أو إلى قصر مشهور بواسط وقد نُسب إلى هذا خلق كثير[٢].

ثانيًا: مولده ووفاته:

وأجمعت المصادر كذلك على أن مولده كان في سنة ست وتسعين ومائتين وأكثرها يذهب إلى أن وفاته كانت ليلة الأحد حادي عشر جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

(١) السمعاني: الأنساب جـ٣ صـ٨٩ بتحقيق عبدالله عمر البارودي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ١٩٩٨م.

(٢) وفيات الأعيان جـ٤ صـ٢١٠ .

المبحث الثاني
حياته العلمية ومكانته

من الواضح لدى المترجمين للرماني أنه كان من أشهر علماء عصره في علوم اللغة، وكذلك في علم الكلام والتفسير على مذهب المعتزلة، ومن خلال هذه التراجم المتعددة نستطيع أن نشير إلى عدة أمور تدلنا على لمحات من حياة الرماني ومكانته العلمية، ومن أهمها ما يلي:

١ - **أنه أشهر علماء عصره في العلوم التي تصدى لها عامة**، وفي علم النحو والكلام خاصة؛ فإنه ما من مترجم له إلا وذكره بأنه إمام عصره، أو أنه أعلى علماء عصره مقامًا.

يقول التوحيدي: (وأما علي بن عيسى فعالي الرتبة في النحو واللغة والكلام والعروض والمنطق)[١] وقال عنه ياقوت الحموي: (وكان إمامًا في العربية علاّمة في الأدب)[٢].

وقال ابن خلكان: (الرماني النحوي المتكلم، أحد الأئمة المشاهير)[٣].

٢ - **أنه تلقى على أشهر علماء عصره الذين كانوا أساتذة له**، وتلقى على يديه ـ أيضًا ـ جماعة من مشاهير العلماء الذين أصبحوا تلامذة له، كما زامل وعاصر جماعة من مشاهير عصره.

فمن أشهر أساتذته الذين أخذ عنهم النحو وعلوم اللغة الذين يذكرون دائمًا على أنهم أساتذته المباشرون:

١ - أبوبكر بن دريد[٤].

---

(١) التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة صـ١٠٣ .

(٢) معجم الأدباء جـ٤ صـ١٨٢٦ .

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ٤ صـ٢١٠ .

(٤) هو أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن حنتم بن حسن بن واسع ابن وهب= =الأزدي اللغوي البصري إمام عصره في اللغة والآداب والشعر الفائق، انتهت إليه الرياسة في

٢ – أبوبكر بن السراج[١].

٣ – الزجاج[٢] وغيرهم، وهؤلاء أخذ عنهم علوم اللغة.

٤ – ابن الإخشيد[٣] وهذا أخذ عنه الكلام على مذهب الاعتزال[٤].

ومن أشهر معاصريه الذين اقترن اسمه دائما بهما:

١ – أبوسعيد السيرافي[٥].

٢ – أبوعلي الفارسي[١].

اللغة وقام مقام الخليل بن أحمد وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين، ولد سنة ثلاث وعشرين ومائتين بالبصرة ومات سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة. راجع في ترجمته: القفطي إنباه الرواة جـ٣ صـ٩٥، وابن خلكان: وفيات الأعيان جـ٦ صـ٢٠، وياقوت الحموي: معجم الأدباء جـ٦ صـ٢٤٩٠ .

(١) هو: أبوبكر محمد بن السَّري المعروف بابن السراج النحوي البغدادي نشأ في بغداد، وأخذ النحو عن المبرد ولازمه وتخرج عليه، ثم صحب الزجاج واستفاد منه، وكان نحويًا أديبًا شاعرًا، وإليه انتهت رياسة البصريين بعد المبرد والزجاج، ومن تلاميذه السيرافي والرماني وأبوعلي الفارسي، توفى السراج سنة مائتين وستة عشر ببغداد. راجع في ترجمته: بغية الوعاة جـ١ صـ١٠٩، تاريخ بغداد جـ٥ صـ٣١٩، سير أعلام النبلاء جـ١٤ صـ٤٨٣ .

(٢) هو: إبراهيم بن السري بن سهل بن إسحاق الزجاج ولد ببغداد سنة ٢٣٠هـ ونشأ بها، فأخذ عن ثعلب ولازمه ثم لازم المبرد وأخذ عنه كتاب سيبويه حتى أتقنه، وكان عالما باللغة والنحو أديبا متدينا فاضلا، من كتبه أمالي الزجاج ومعاني القرآن وإعرابه وغيرهما، توفي ببغداد سنة ٣١١هـ. راجع في ترجمته: تهذيب اللغة جـ١ صـ٢٨ وتاريخ بغداد جـ٦ صـ٨٩ وسير أعلام النبلاء جـ١٤ صـ٣٦٠ .

(٣) هو: أبوبكر أحمد بن علي من أفاضل المعتزلة وصلحائهم ورؤسائهم ببغداد وله مصنفات في الكلام والنحو والفقه، وكان متعبدًا زاهدًا يروى الحديث ويدريه، توفي سنة ٣٢٠هـ، وقيل سنة ٣٢٦هـ.

راجع في ترجمته سير أعلام النبلاء جـ١٠ صـ٤٠٢، والفهرست صـ١١٣ .

(٤) ياقوت الحموي: معجم الأدباء جـ٤ صـ١٨٢٦ .

(٥) هو أبوسعيد الحسن بن عبدالله بن المرزبان السيرافي، ولد بسيراف من بلاد فارس وتنقل في طلب العلم إلى أن ورد بغداد فأخذ اللغة عن ابن دريد والقراءات عن ابن مجاهد والنحو على أبي بكر السراج، ولازم مسجد الرصافة واشتهر فيه وله من التصانيف: شرح كتاب سيبويه وأخبار النحويين البصريين وكتاب الإقناع في النحو، توفي عام ٣٦٨هـ.

راجع في ترجمته الفهرست صـ٨٩، وتاريخ بغداد جـ٧ صـ٣٤١، والأنساب جـ٣ صـ٣٥٧ .

ومن أشهر تلامذته الذين أخذوا عنه:

١ – هلال بن المحسن[٢].

٢ – أبوالقاسم التنوخي[٣].

٣ – أبوحيان التوحيدي[٤].

٣ – **كان واسع التصنيف في كل فن:** فقد أجمع المترجمون للرماني على أنه (كان له تصانيف في جميع العلوم، من النحو واللغة والنجوم والفقه والكلام على رأي المعتزلة)[٥].

وقال ابن النديم عن الرماني: (من أفاضل النحويين والمتكلمين البغداديين، متفنن

---

(١) هو الحسن بن أحمد بن عبدالغفار أبوعلي الفارسي الفسوي ولد بفسا عام ٢٨٨هـ، ونشأ بها وسمع وهاجر إلى بغداد عام ٣٠٧هـ، فتخرج على ابن مجاهد والزجاج والسراج وتصدر فيها للتدريس، وكان فذًا في علوم القرآن رأسًا في العربية وفنونها، ومن كتبه: الحجة للقراءات السبعة، الإيضاح في النحو وكتاب التكملة، راجع في ترجمته: المنتظم جـ١٤ صـ٣٢٤، ومعجم الأدباء جـ٢ صـ٨١١، وبغية الوعاة جـ١ صـ٤٦٩ ٠

(٢) هو هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال بن زهرون الصابئ الحراني البغدادي أبوالحسن، أديب ومؤرخ وكاتب له معرفة بالعربية واللغة ولد في شوال وسمع أبا علي الفارسي وعلي بن عيسى الرماني وغيرهما، وولي ديوان الإنشاء ببغداد زمنًا وخرج إلى مصر وكان صابئًا ثم أسلم في آخر عمره وتوفي في ١٧ رمضان سنة ٤٤٨هـ، راجع في ترجمته المنتظم جـ٨ صـ١٧٦، والنجوم الزاهرة جـ٥ صـ٦٠ ٠

(٣) هو أبوالقاسم علي بن محمد بن أبي الفهم التنوخي ولد بأنطاكية في ذي الحجة سنة ثمان وسبعين ومائتين، وقدم بغداد في حداثته وتفقه على مذهب أبي حنيفة، وكان يعرف الكلام في الأصول على مذهب المعتزلة وولي القضاء بالأهواز، وتوفي بالبصرة في ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة٠

راجع في ترجمته: السمعاني:الأنساب جـ١ صـ٤٨٦، ومعجم الأدباء جـ٤ صـ١٨٤٥ ٠

(٤) هو علي بن محمد بن العباس أبوحيان التوحيدي، شيرازي الأصل وقيل نيسابوري، قدم إلى بغداد وأقام بها فترة ومضى إلى الري وصحب الصاحب بن عباد، وكان متفننًا في جميع العلوم من النحو واللغة والأدب والشعر والفقه والكلام على رأي المعتزلة، من مصنفاته: الإمتاع والمؤانسة والرد على ابن جني في شعر المتنبي، توفي في حدود ٣٨٠هـ، وقيل سنة ٤٠٠هـ، راجع في ترجمته: معجم الأدباء جـ٥ صـ١٩٢٤، ومعجم المؤلفين جـ١ صـ٢٢١ ٠

(٥) السمعاني: الأنساب جـ٣ صـ٨٩ ٠

في علوم كثيرة من الفقه والقرآن والنحو والكلام، كثير التصرف والتأليف، وأكثر ما يصنفه يؤخذ عنه إملاءً)[١].

وتظهر لنا هذه الحقيقة جلية من خلال قائمة المؤلفات التي خلفها الرماني والتي ذكرها المترجمون له، حتى قال الذهبي (له نحو مائة تصنيف)[٢].

وقد ذكر القفطي أهم مؤلفات الرماني ومنها ما يلي:

- كتاب شرح سيبويه.
- كتاب الإيجاز في النحو.
- كتاب الجامع لعلم القرآن.
- كتاب النكت في إعجاز القرآن.
- كتاب المتشابه في علم القرآن.
- كتاب الأسماء والصفات.
- كتاب الرؤية.
- كتاب صنعة الاستدلال.
- كتاب الرد على من قال بالأحوال.
- كتاب المنطق.

- كتاب الرسائل في الكلام[٣].

وغيرها من الكتب الكثيرة التي صنفها الرماني والتي تدلنا على أنه كان صاحب قلم سيال، وصاحب معرفة واسعة بالعلوم المختلفة التي كانت معروفة في عصره.

(١) ابن النديم: الفهرست جـ١ صـ٩٤ .
(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام جـ٨ صـ٥٦٠ .
(٣) القفطي: إنباه الرواة جـ٢ صـ٢٩٥ .

٤ – **كان صاحب دين وتقوى ومشهور بالصلاح**، وذلك أن كثيرًا من الكتب التي ترجمت له أشارت إلى صلاحه وعبادته وتقواه، فأبوحيان التوحيدي لا يذكر الرماني إلا بأنه (الشيخ الصالح)[١] وبأنه (ذو دين ثخين وعقل رزين)[٢].

وقال الذهبي: (كان أبوحيان التوحيدي يبالغ في تعظيم الرماني ووصفه بأنه صاحب تأله وتنزه وفصاحة وفقاهة وصاحب دين ويقين وحلم ورزانة واحتمال ووقار)[٣].

٥ – **ويتصل بهذا أنه كان محبوبًا من الأمراء والولاة:** ولكنه كان زاهدًا فيهم، ففي عصر الرماني وهو القرن الرابع الهجري سادت الفتن والاضطرابات التي هددت أمن البلاد وسلامتها ومنها بلاد العراق[٤]، فاتفق الناس في بغداد على أن يخرج منهم وفد إلى عز الدولة يشكون إليه هذه الأحوال، واختاروا جماعة من أشرافهم وصفوة علمائهم كان منهم الرماني[٥].

ولما تحدث معهم عز الدولة خص الرماني بمزيد من التقدير رغم أنه كان معروفًا عنه أنه (كان وافر الحظ من سوء الأدب، قليل التحاشي من أهل الفضل والحكمة)[٦].

إلا أنه خاطب الرماني قائلاً: (وأما أنت يا أبا الحسن ـ يريد علي بن عيسى الرماني ـ فوحق أبي إني لأحب لقاءك وأوثر قربك، ولولا ما يبلغني من ملازمتك

(١) أبوحيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة صـ٩٠، و١٠٠ .
(٢) نفسه صـ١٠٣ .
(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام جـ٨ صـ٥٦٠ .
(٤) راجع ابن الجوزي: المنتظم جـ٥ صـ١٨٨ .
(٥) التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة جـ١ صـ٣٧٤ .
(٦) التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة جـ١ صـ٣٧٥ .

لمجلسك وتدريسك لمختلفتك وإكبابك على كتابك في القرآن، لغلَّبتك على زمانك، ولاستكثرت مما قل حظي منه في هذه الحال)[١].

وهذا يدل على أن الرماني كان محل إعجاب عز الدولة الذي كان يود لو أنه يلازم الرماني لأخْذ العلم عنه، بل للاستكثار من علومه المختلفة لولا أن الرماني كان مشغولا بالتدريس والتأليف.

ويذكر ابن الجوزي: (فخرج إليه ـ أي عز الدولة ـ أهل الستر والصيانة من أهل بغداد، منهم أبوبكر الرازي الفقيه، وأبوالحسن علي بن عيسى النحوي ـ يقصد الرماني ـ وأبوالقاسم الداركي، وابن الدقيق الفقيهان، وشكوا إليه ما طرق المسلمين)[٢].

٦ – **كان الرماني صاحب منهج خاص به حتى** (لقد شاع عن الرماني أنه كان صوتًا وحيدًا بين أصوات النحاة في القرن الرابع، بل لقد كان في الحق منفردًا بين نحاة عصره بمنهج مستقل في معالجة البحث النحوي وتحقيق مسائله) [٣].

وقد لاحظ معاصرو الرماني هذا حتى اتهموه أحيانًا بالغموض في التأليف والتدريس، خاصة في علم النحو.

يقول ياقوت الحموي كان معاصرو الرماني يقولون: (النحويون في زماننا ثلاثة: واحد لا يفهم كلامه، وهو الرماني، وواحد يفهم بعض كلامه، وهو أبو علي الفارسي، وواحد يفهم جميع كلامه بلا أستاذ، وهو السيرافي) [٤].

٧ – **ابتكر الرماني طريقة جديدة قائمة على خلط النحو بالمنطق:** حتى عابه أهل زمانه بذلك ولعل هذا هو السبب في هذا الغموض الذي اعترى أسلوب الرماني.

---

(١) الإمتاع جـ١ صـ٣٧٧ .

(٢) ابن الجوزي: المنتظم جـ٧ صـ٦٠ .

(٣) د/ مازن المبارك: الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه صـ٥ .

(٤) الحموي: معجم الأدباء جـ٤ صـ١٨٢٦ .

يقول التوحيدي: (وأما علي بن عيسى ـ يقصد الرماني ـ فعالي الرتبة في النحو واللغة والكلام والعروض والمنطق وعيب به، إلا أنه لم يسلك طريق واضع المنطق، بل أفرد صناعة وأظهر براعة) [١].

ففي هذا النص نرى أن الرماني انتهج منهجًا جديدًا خلط فيه المنطق بالنحو، ولكنه مع ذلك لم يتابع واضع المنطق، ومعنى ذلك أنه كان له اجتهاد وانفراد ولا يميل إلى التقليد.

ويبدو أن هذه الطريقة لم تعجب معاصري الرماني، فهذا هو أبوعلي الفارسي ـ وهم من كبار معاصري الرماني ـ يقول: (إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس معنا منه شيء، وإن كان النحو ما نقوله نحن فليس معه منه شيء، وذلك أنه كان يمزج في كلامه النحو بالمنطق) [٢].

والواقع أنني لا أجد غضاضة من استعمال المنطق في علم النحو أو في غيره من العلوم العقلية الأخرى؛ وذلك أن المنطق هو آلة العلوم جميعها، أو على حد تعبير الشيخ الرئيس ابن سينا[٣]: هو (آلة عاصمة للذهن عن الخطأ فيما نتصوره أو نصدق به) [٤] وقد قرر المرحوم الدكتور عوض الله حجازي أن (علم المنطق من العلوم المهمة في الدراسات العقلية؛ لأنه آلة لتحصيلها وفحصها وبيان صحيحها من زائفها وحقها من باطلها) [٥].

---

(١) الإمتاع والمؤانسة جـ١ صـ١٠٣ .

(٢) معجم الأدباء جـ٤ صـ١٨٢٦ .

(٣) هو: الحسين بن عبدالله بن سينا أبوعلي شرف الملك، الفيلسوف الرئيس صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات، ولد في إحدى قرى بخارى سنة ٣٧٠هـ، ونشأ وتعلم في بخارى وناظر العلماء، وطاف البلاد، واتسعت شهرته، وتقلد الوزارة في همذان، ثم صار إلى أصفهان وألف فيها أكثر كتبه، ثم عاد في أواخر أيامه إلى همذان ومرض ومات بها سنة ٤٢٨هـ. الأعلام جـ٢ صـ٢٤١ .

(٤) ابن سينا: النجاة صـ٤١ .

(٥) د/ عوض الله حجازي: المرشد السليم صـ٦ الطبعة التاسعة ١٩٩٨م ـ دار الطباعة المحمدية ـ القاهرة.

وبناءً على ذلك يعد الاعتماد على المنطق في شرح علم من العلوم النظرية والعقلية ليس عيبًا، بل ميزة تهدف إلى تجلية هذا العلم بطريقة صحيحة.

المبحث الثالث

عقيدة الرماني ومذهبه

من خلال المصادر التي تحدثت عن الرماني وترجمت له نلاحظ أنها أجمعت على أنه معتزلي، بل هو من شخصيات الاعتزال المشهورين في عصره، ولكن بعض هذه المصادر يذكر أنه كان شيعيًا، وقليل منها يزيد أنه كان رافضيًا، ولذلك سأقوم بتحقيق ذلك في النقطتين التاليتين:

أولاً: الإجماع على أنه كان معتزليًّا:

ما من مصدر من المصادر ذكر الرماني وترجم له إلا وذكر أنه كان معتزليًا، سواء في ذلك كتب التراجم العامة، أو كتب التراجم الخاصة باللغويين والنحاة، أو حتى تلك التي ترجمت للمعتزلة وذكرت طبقاتهم.

فالخطيب البغدادي يذكر الرماني بأنه (كان من أهل المعرفة متفننًا في علوم كثيرة من الفقه والقرآن والنحو واللغة والكلام على مذهب المعتزلة) [(١)].

ويذكر السمعاني عن الرماني أنه (النحوي المتكلم صاحب التصانيف في العلوم الكثيرة والكلام على مذهب المعتزلة) [(٢)].

ويذكره الذهبي مرات كثيرة في كتبه بأنه (العلامة أبوالحسن علي ابن عيسى الرماني النحوي المعتزلي) [(٣)].

ويذكر ياقوت الحموي في ترجمة الرماني أنه كان (له تصانيف في جميع العلوم من النحو واللغة والنجوم والفقه والكلام على رأي المعتزلة) [(٤)].

---

(١) تاريخ بغداد جـ١٢ صـ١٦ .

(٢) السمعاني: الأنساب جـ٣ صـ٨٩ .

(٣) سير أعلام النبلاء جـ١٦ صـ٥٢٠، وجـ١٦ صـ٥٣٤، وتاريخ الإسلام جـ٨ صـ٥٦٠، وميزان الاعتدال جـ٣ صـ١٤٩ .

(٤) الحموي: معجم الأدباء جـ٤ صـ١٨٢٦ .

هذا عن كتب التراجم العامة كذلك كتب الطبقات الخاصة تجمع أيضًا على أنه معتزلي، فطبقات المفسرين تذكره على أنه (صنف في الكلام على مذهب المعتزلة)[١].

وكتب تراجم النحويين: تذكره ـ أيضًا ـ على أنه معتزلي، فالقفطي يذكر الرماني بأنه (كان من أهل المعرفة مفتنًا في علوم كثيرة، وله التصانيف المشهورة في التفسير والنحو واللغة والكلام على مذهب المعتزلة) [٢].

والسيوطي يذكر الرماني بأنه (كان إمامًا في العربية، علامة في الأدب في طبقة الفارسي والسيرافي، وكان معتزليًا) [٣].

والأكثر من ذلك أن كتب تراجم المعتزلة: ذكرت الرماني ـ أيضًا ـ ونصت على أنه كان معتزليًا، بل كان صاحبًا لمشاهيرهم، فالمرتضى يعدد أصحاب أبي هاشم الجبائي فيقول: (ومنهم أبوالحسن علي بن عيسى صاحب التفسير والعلم الكثير، وكان يقال له على الجامع؛ لأنه جمع بين علوم الكلام والفقه والقرآن والنحو واللغة) [٤].

وهكذا ثبت أن الرماني معتزلي المذهب.

ولكن المعتزلة فرق كثيرة فإلى أيها ينتمي الرماني؟

---

(١) راجع الأدنهوي: طبقات المفسرين صـ٨٨ ـ تحقيق سليمان الخزي ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م ـ مكتبة العلوم والحكمة، والسيوطي طبقات المفسرين صـ٦٨ تحقيق/ علي محمد عمر ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩هـ ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة.

(٢) القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة جـ٢ صـ٢٩٤ .

(٣) السيوطي: بغية الوعاة جـ٢ صـ١٨١بتحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ـ المكتبة العصرية ـ لبنان ـ بدون تاريخ.

(٤) طبقات المعتزلة صـ١١٠ .

نستطيع أن نستنتج من تلك الإشارات التي ذكرتها كتب التراجم حول الرماني أنه كان تابعًا لفرقة الجُبَّائية[١] من المعتزلة، والسبب الرئيس في ذلك راجع إلى شخصية أستاذه الذي أخذ عنه علم الكلام على مذهب المعتزلة، وهو ابن الإخشيد[٢] الذي كان أحد مشاهير عصره في الاعتزال، والذي لازمه الرماني وتتلمذ عليه حتى أصبح من أشهر أصحابه الذين تأثروا به؛ حتى لقد نُسب الرماني إليه، وذكرت بعض المصادر في ترجمة الرماني أنه: الإخشيدي نسبة إلى هذا الأستاذ المعتزلي[٣].

وقد نص كُتّاب المعتزلة على أن الرماني كان تلميذ الإخشيدي، والإخشيدي كان من أصحاب وأنصار أبي علي الجُبّائي.

يقول المرتضى عن الرماني (إنه أخذ عن أبي بكر الأخشيذي وذهب مذهبه، وكان يتعصب على أبي هاشم، وابن الأخشيذ كان من أنصار أبي علي الجبائي، وكان يتعصب على ابنه أبي هاشم ويرد عليه)[٤].

---

(١) فرقة من فرق المعتزلة وهم أتباع أبي علي الجُبَّائي وكانت المعتزلة في البصرة في زمانه على مذهبه ثم انتقلوا بعده إلى مذهب ابنه أبي هاشم، والجبائي هذا الذي تنتمي إليه هذه الفرقة هو إمام المعتزلة في عصره ورئيس المتكلمين، وقد مثل هو وولده أبوهاشم آخر أدوار المعتزلة المهمة، وقد وافقت الجبائية المعتزلة في أصولها ولكنهم انفردوا ببعض الآراء والمقالات.
راجع البغدادي: الفرق بين الفرق صـ١٦٧، والملل والنحل جـ١ صـ٦٧، وزهدي جار الله: المعتزلة صـ١٤٩ .

(٢) هو أبوبكر أحمد بن علي ابن الإخشيذ العلامة الأستاذ شيخ المعتزلة صاحب التصانيف كان يدري الحديث ويرويه ويحتج به في تواليفه وكان ذا تعبد وزهادة وكان يؤثر الطلبة وكان له محاسن على بدعته وله تواليف في الفقه والنحو والكلام وكان لا يفتر عن العلم والعبادة.
راجع:ابن النديم:الفهرست صـ٢٤٥،وسير أعلام النبلاء جـ١٥صـ٢١٨ .

(٣) معجم الأدباء جـ٤ صـ١٨٢٦ .

(٤) طبقات المعتزلة صـ١٠١ .

وقال ياقوت الحموي عن الرماني (أرى أنه كان تلميذا من تلاميذ الإخشيد المتكلم أو على مذهبه؛ لأنه كان متكلمًا على مذهب المعتزلة وله في ذلك تصانيف مأثورة) [١].

فقد ظهر لنا التأثير الكبير الذي أثره الإخشيدي في تلميذه الرماني حتى شابهه في أمور كثيرة:

منها أنه معتزلي، وأنه جُبائي، وأنه نحوي، وأنه كان يخالف أباهاشم الجبائي بل ويرد عليه.

بل لقد ألف الرماني كتبًا في الرد على أبي هاشم منها:

ـ الرد على من قال بالأحوال رد فيه على المسألة المشهورة بأحوال أبي هاشم.

ـ نقض استحقاق الذم.

ـ الرد على المسائل البغداديات لأبي هاشم[٢].

وهذا يدل على انتمائه لفرقة الجبائية التي انتمى إليها أستاذه الإخشيدي بل ودافع عنها ضد من خالف بعض آرائها.

والحقيقة أن الرماني كما تأثر بمن سبقه خاصة أستاذه الإخشيدي فإننا وجدنا له تأثيرًا كبيرًا فيمن بعده من المعتزلة.

وهذا راجع بالطبع إلى ثقافة الرماني الواسعة التي جعلته محل إعجاب المعتزلة فيما بعد، وقد أشار الدكتور مازن المبارك إلى ذلك فقال: (وثقافة الرماني في الاعتزال والكلام ثقافة واسعة بعيدة الأثر في فكر صاحبها، إذ لم يكن الكلام عنده علمًا إلى جانب العلوم الأخرى الكثيرة التي كان يتقنها فحسب، وإنما كان فلسفة

(١) الحموي: معجم الأدباء جـ٤ صـ١٨٢٦ .

(٢) الفرق بين الفرق ١٨٣ ـ ١٩٥، وإنباه الرواة جـ٢ صـ٢٩٥ .

صبغ بها سائر العلوم عنده بصبغته الخاصة، وطبع بطابعه نتاج الرماني الفكري في سائر العلوم) [١].

ونستطيع أن نضرب هنا مثالاً واحدًا يدل على مدى تأثير الرماني في فرقة المعتزلة عن طريق مصنفاته التي بلغت مائة مصنف، وأشهر تلك المصنفات كتابه في تفسير القرآن الذي يبدو أنه كان ذائع الصيت في زمانه لدرجة أن معاصريه كانوا يقولون إن الرماني لم يترك شيئًا لأحد يكتبه في التفسير، فقد قيل للصاحب بن عباد هلا صنفت تفسيرًا؟ فقال وهل ترك لنا علي بن عيسى شيئًا[٢].

والرماني نفسه يقول عن تفسيره هذا (تفسيري بستان يجتنى منه ما يشتهي)[٣].

وهذا التفسير بالطبع كان يحتوي على عقائد المعتزلة حيث (ظهرت في هذا التفسير الصبغة النحوية واللغوية والاعتزالية بوضوح تام، وهو متشبع بعقائد المعتزلة وهو من أقدم مؤلفاتهم في التفسير)[٤].

ولا أدل على قيمة هذا التفسير الذي خلفه الرماني من أن مفسرًا كبيرًا من المتأخرين ـ وهو الزمخشري ـ قد تأثر به وأكثر النقل منه في مواضع من تفسيره الكشاف.

يقول ابن تغري بردي عن أحداث سنة أربع وثمانين وثلثمائة (وفيها توفي علي بن عيسى بن علي الإمام أبوالحسن الرماني النحوي، برع في علم النحو واللغة والأصول والتفسير وغيرها، وله كتاب التفسير الكبير وهو كثير الفوائد إلا أنه صرح فيه بالاعتزال وسلك الزمخشري سبيله وزاد عليه)[٥].

---

(١) الرماني النحوي في ضوء شرحه على سيبويه صـ٤٧٦ .

(٢) راجع طبقات المعتزلة صـ١١٠ .

(٣) راجع طبقات المعتزلة صـ١١٠ .

(٤) د/ مساعد الطيار: التفسير اللغوي في القرآن الكريم صـ٢٠٧ الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ ـ دار ابن الجوزي.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة جـ٤ صـ١٦٨ طبعة وزارة الثقافة بمصر بدون تاريخ.

وقد أصبح من الحقائق الثابتة أن (من التفاسير التي تأثر بها الزمخشري تفسير الرماني)[١] حتى نقل منه في مواضع كثيرة جدًا من الكشاف[٢].

وهكذا فعل غير الزمخشري من المعتزلة في النقل عن الرماني كما فعل الشريف المرتضى في غرر الفوائد[٣].

وكذلك التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة في مواضع كثيرة جدًا[٤].

وهكذا ظهر لنا بوضوح أن الرماني كان معتزليًا جبائيًا، وأنه لم يكن من المغمورين، بل كان من المشهورين، بحيث تأثر بمن سبقه وأثر أثرًا كبيرًا فيمن لحقه.

ثانيًا: هل كان الرماني شيعيًا؟

لقد وجدنا من المترجمين للرماني من يذهب إلى أنه كان شيعيًا، يقول بتفضيل علي ﷺ على غيره من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، فمن تلاميذ الرماني المقربين التنوخي الذي ذكر أن أستاذه الرماني كان شيعيًا يقول بتفضيل علي ﷺ فيقول: (وممن ذهب في زماننا إلى أن عليًا عليه السلام أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ من المعتزلة أبوالحسن الرماني)[٥].

وقال الذهبي عن الرماني: (كان يتشيع ويقول على أفضل الصحابة) [٦]، وقال في موضع آخر عن الرماني (وكان مع اعتزاله شيعيًا) [٧].

---

(١) د/ مصطفى الصاوي: منهج الزمخشري في تفسير القرآن صـ٨٥ طبعة دار المعارف بدون تاريخ.

(٢) راجع على سبيل المثال: الكشاف جـ٢ صـ٥١٠، الكشاف جـ١ صـ٨، وجـ٢ صـ٥٢٠، وجـ٢ صـ٥٢٤ وغيرها.

(٣) المرتضى: غرر الفوائد جـ٢ صـ٣٠٥ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة صـ١٠٠، وصـ١٤٩، وصـ٣٦٢ .

(٥) معجم الأدباء جـ٤ صـ١٨٢٦ .

(٦) سير أعلام النبلاء جـ١٦ صـ٥٣٤ .

(٧) تاريخ الإسلام جـ٨ صـ٥٦٠ .

وقال في موضع ثالث (علي بن عيسى الرماني صاحب العربية، لقى ابن دريد، معتزلي رافضي، ومن حدود سبعين وثلاثمائة إلى زماننا هذا تصادق الرفض والاعتزال وتواخيا) [١].

ومما يذكر من أدلة على تشيع الرماني أننا وجدنا في قائمة مصنفاته كتابين يدلان على ذلك، وهما كتاب: الإمامة وكتاب: تفضيل علي ﷺ [٢].

ويبدو أن من ذهب إلى القول بأن الرماني كان شيعيا بني قوله هذا على أن الرماني كان يقول بتفضيل علي ﷺ كما هو واضح من النصوص التي ذكرناها، ولكننا لم نجد من ينص على أنه رافضي[٣] إلا الحافظ الذهبي كما مر.

ونستطيع هنا أن نقول إن الرماني كان يميل إلى التشيع، ولكنه لم يكن رافضيًا.

فأما كونه مائلاً إلى التشيع بجانب اعتزاله فإننا نستطيع أن نفسر ذلك في ضوء ما يلي:

أ – **لقد اقتضت طبيعة الحياة العقلية في القرن الرابع الهجري** ـ الذي عاش فيه الرماني ـ أن يكون هناك تقارب بين أرباب المذاهب المختلفة، وقد نبه بعض الباحثين على تلك الحقيقة المهمة، فقال: (وكان بين كثير من أصحاب هذه المذاهب تقارب واتصال، فلم يكن بين السنة والمعتزلة مثلاً شيء من التخالف في العبادات، وإنما كان الخلاف في أمور نظرية كلامية، وكذلك كانت هناك صلة

(١) ميزان الاعتدال جـ٣ صـ١٤٩.

(٢) راجع مصنفات الرماني في القفطي: إنباه الرواة جـ٢ صـ٢٩٥.

(٣) يقول الإمام الأشعري (الصنف الثاني من الشيعة هم الرافضة وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، وهم مجمعون على أن النبي ﷺ نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه وأظهر ذلك وأعلنه، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي ﷺ، وأن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف وأنها قرابة .... إلخ) راجع الإمام الأشعري: مقالات الإسلاميين جـ١ صـ١٧ بتحقيق هلموث ريتر ـ دار إحياء التراث العربي ـ بدون تاريخ.

حسنة بين المعتزلة وبعض فرق الشيعة، حتى كان كثير من العلماء معتزلة وشيعة في آن واحد)[١].

ب – من الحقائق المقررة أن معتزلة بغداد ــ والرماني منهم ــ كانوا يقولون بتفضيل علي ﷺ على سائر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وقد صرح القاضي عبدالجبار بذلك فقال في المغني (فأما أكثر البغداديين من شيوخنا فإنهم يفضلون عليًا عليه السلام)[٢].

وقال القاضي عبدالجبار عن واصل بن عطاء (إنه كان يفضل أمير المؤمنين على عثمان فلذلك سموه شيعيًا) [٣].

وقال القاضي أيضًا (وأما شيخنا أبوعبدالله البصري فقد قال: إن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، ثم أبوبكر، ثم عمر، ثم عثمان ولهذا كان يلقب بالمفضل، وله كتاب في التفضيل طويل)[٤].

وأخيرًا نحا القاضي عبدالجبار إلى تفضيل علي ﷺ فقال (فأما عندنا: إن أفضل الصحابة أمير المؤمنين علي، ثم الحسن، ثم الحسين عليهم السلام)[٥].

جـ – وأما عن أهم أسباب الاتصال والتقارب الشديدين بين الشيعة والمعتزلة فهو (احتضان البويهيين للمعتزلة في القرن الرابع الهجري ومناصرتهم لهم وأخذهم بأصولهم، مما حدا بجمهور المعتزلة إلى الأخذ بالتشيع، مع التنبيه إلى أن بعضهم كان يجاري الموجة السائدة ويظهر التشيع، ولم يكن منه على قناعة، وقد كان أمراء آل بويه ووزيرهم الصاحب بن عباد أبرز من لعب ذلك الدور حيث كانوا دعاة إلى الاعتزال والتشيع بالمال ولسان الحال، ومن هذا الوقت اعتمدت الشيعة على

---

(١) د/ مازن المبارك: الرماني النحوي صـ٢٦ .
(٢) القاضي عبدالجبار بن أحمد:المغني في أبواب التوحيد والعدل جـ٢٠صـ٢١٦ .
(٣) القاضي عبدالجبار بن أحمد: شرح الأصول الخمسة صـ٧٦٧ .
(٤) نفس المصدر صـ٧٦٧ .
(٥) شرح الأصول الخمسة صـ٧٦٧ .

المعتزلة اعتمادًا كليًا في أصولهم، فلا يعرف قول للمتأخرين إلا وهو مأخوذ من المعتزلة)[١].

د – **وأخيرًا فإن لهذه الفكرة السائدة في معتزلة بغداد** ـ وأعني بها تفضيل علي ﷺ على الصحابة ـ صدى تاريخيًا حيث إن مؤسس مدرسة بغداد الاعتزالية هو بشر بن المعتمر[٢]، وبشر هذا قد نشأ في الكوفة التي كان ينتشر فيها التشيع، فانتقلت آراؤه إلى معتزلة بغداد عامة ففضل معظمهم عليًا على أبي بكر ومنهم الإسكافي[٣] والجاحظ[٤] والخياط[٥] وغيرهم[٦].

وقد ذكر ابن أبي الحديد أن البغداديين قاطبة كانوا يرون عليًا أفضل من أبي بكر، ومعهم أبوعلي الجبائي والقاضي عبدالجبار من معتزلة البصرة[٧].

---

(١) د/ محمد الشيخ عليو: مناهج اللغويين في تقرير العقيدة صـ٥٩٥ ـ الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ـ مكتبة المنهاج ـ الرياض.

(٢) هو أبوسهل بشر بن المعتمر شيخ المعتزلة وصاحب التصانيف وهو من القدامى الكبار، وهو كوفي وقيل بغدادي انتهت إليه رياسة المعتزلة في وقته وهو الذي أحدث القول بالتولد وأفرط فيه، توفي سنة ٢١٠هـ. راجع في ترجمته: الملل والنحل للشهرستاني جـ١ صـ٦٣، وتاريخ الإسلام للذهبي جـ٥ صـ٤٠، ولسان الميزان جـ٣ صـ٤١ .

(٣) هو محمد بن عبدالله الإسكافي أبوجعفر أحد متكلمي المعتزلة كان عجيب الشأن في العلم والذكاء والصيانة ونبل الهمة والنزاهة، وهو من شيوخ المعتزلة البغداديين ورؤسائهم ممن يذهب إلى تفضيل علي والقول بإمامة المفضول، توفي سنة ٢٤٠هـ، راجع في ترجمته: المسعودي: مروج الذهب جـ١ صـ٤٥١، وابن حجر: لسان الميزان جـ٨ صـ٢٤٧، وزهدي جارالله: المعتزلة صـ١٤١ .

(٤) هو عمرو بن بحر أبوعثمان الجاحظ كان من فضلاء المعتزلة والمصنفين لهم وقد طالع كثيرًا من كتب الفلاسفة وخلط وروج كثيرًا من مقالاتهم بعباراته البليغة وحسن براعته اللطيفة، توفي سنة ٢٥٥. راجع في ترجمته: المنية والأمل صـ٣٥٥، ومروج الذهب جـ٢ صـ١٢٣، ولسان الميزان جـ٦ صـ٤٣٧ .

(٥) هو أبوالحسين بن أبي عمرو الخياط أستاذ أبي القاسم الكعبي وهما من معتزلة بغداد على مذهب واحد إلا أن الخياط غالى في أنيات المعدوم شيئًا والخياط هو واضع كتاب الانتصار في الدفاع عن الاعتزال، توفي الخياط سنة ٣٠٠هـ. راجع في ترجمته: الملل والنحل جـ١ صـ٧٥، والمعتزلة صـ١٤٨ .

(٦) راجع: الخياط: الانتصار والرد على ابن الزوندي الملحد صـ٧٣ .

(٧) راجع: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة جـ١ صـ٣ .

ومن المهم هنا أن نذكر أن الحافظ ابن حجر قد نقل عن ابن النديم أن المصنفات التي صنفها الرماني في التشيع لم يكن يقول بها وإنما صنفها تقيَّة لأجل انتشار المذهب في ذلك الوقت(١).

وبهذا يظهر لنا أن الرماني: إما أن يكون شيعيًا لما قدمناه من أسباب، وإما أن يكون معتزليًا فقط، لكنه قال ببعض أقوال الشيعة، خاصة تفضيل علي ﷺ مجاراة للجو السائد في فرقته وفي بلده.

وأما كونه ليس رافضيًا: فإننا إذا قلنا أنه شيعي أو قائل ببعض مقالاتهم فإن ذلك لا يعني أبدًا أنه كان رافضيا وذلك لما يلي:

أ – **روى ابن النديم في الفهرست أن الرماني** كان جارًا لرجل شيعي رافضي، وكان دائما يدعوه ويناقشه حتى يقول بالاعتزال ويترك التشيع والرفض، ولكنه أبى وأنشد شعرًا يشكو فيه الرماني.

قال ابن النديم: (كان السَّرِيّ الرّفَّاء(٢) جارًا لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني بسوق العطش، وكان كثيرًا ما يجتاز بالرماني وهو جالس على باب داره فيستجلسه ويحادثه ويستدعيه إلى أن يقول بالاعتزال، وكان سَرِيّ يتشيع فلما طال عليه ذلك أنشد:

أقارع أعداء النبي وآله ∴ قراعًا يفل البيض عن قراعه
وأعلم كل العلم أن وليهم ∴ سيجزي غداة البعث صاعًا بصاعه
فلا زال من والاهم في علوه ∴ ولا زال من عاداهم في اتضاعه

(١) راجع: ابن حجر: لسان الميزان جـ٤ صـ٢٨٧ الطبعة الثانية سنة ١٩٧١م ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

(٢) هو السري بن أحمد السري أبوالحسن الرفاء الموصلي كان في بداية أمره رَفَّاء يطرز الثياب، ولما جاد شعره قصد سيف الدولة بحلب فمدحه وأقام عنده مدة، ثم انتقل إلى بغداد ومدح الوزير المهلب وجماعة من رؤسائها ونفق شعره وراج وكان عذب الألفاظ متفننا بالتشبيهات والأوصاف وكان يتشيع توفي عام ٣٦٦هـ. راجع في ترجمته وفيات الأعيان جـ٣ صـ٤٤، والأعلام للزركلي جـ٣ صـ٨١ .

ومعتزلـــي رام عـــزل ولايتـــي ∴ عـن الشـرف العـالي بهـم وارتفاعـه
فمـاطـاوعتني الـنفس فـي أن أطيعـه ∴ ولا أذن القـرآن لـــي فـــي اتباعـــه
طُبِّعْتُ علـي حـب الوصـي ولـم يكـن ∴ ليُنقـل مطبـوع الهـوى عـن طباعـه(١)

فهذا يدل على أن الرماني لم يكن رافضيًا، بل كان معاديًا لهم مجادلاً لهم راغبًا في أن يتركوا ما هم عليه.

ب – ومما يدل على أن الرماني لم يكن رافضيًا أيضًا: أننا لم نجده في طبقات الإمامية، ولا في تراجم الرافضة كما وجدناه في طبقات المعتزلة وتراجمهم مجمعًا عليه فإن (المصنفين في طبقات الإمامية كالعاملي وغيره لم يذكروا الرماني على أنه منهم، وقد انفرد بذكره أغا بزرك الطهراني في الذريعة(٢) وذكر له تفسيره الكبير، وإحجام مترجمي الإمامية عن ترجمته دليل على أنه لم يكن من الإمامية)(٣).

جـ – ومن الأدلة أيضا أن بعض الإمامية قد وضعوا كتبًا للرد على الرماني في مسألة الإمامة ككتاب "النقض على علي بن عيسى الرماني" في الإمامة لمحمد بن محمد النعمان المعروف بالمفيد كبير الإمامية في عصره وكان من تلاميذ الرماني، وتوفي سنة ٤١٣هـ(٤).

وبهذا نستطيع القول: إن الرماني كان معتزليًا مجمعًا على تقدمه وشهرته فيهم، ثم هو بعد ذلك شيعي ولكن تشيعه هذا اقتصر على قوله بتفضيل علي ﷺ وأن ذلك ربما كان مجاراة لما هو سائد عند معتزلة بغداد وأيضًا لقوة التيار الشيعي في بغداد حينئذ.

---

(١) ابن النديم: الفهرست صـ٢١٢ .
(٢) راجع: الطهراني الذريعة إلى تصانيف الشيعة جـ٢٤ صـ٢٨٩ دار الأضواء ـ بيروت ـ بدون تاريخ، وأعيان الشيعة جـ٩ صـ٤٢٣ .
(٣) مناهج اللغويين في تقرير العقيدة صـ٥٩٢ .
(٤) راجع: أعيان الشيعة جـ٩ صـ٤٢٣، ومناهج اللغويين في تقرير العقيدة صـ٥٩٣ .

المبحث الرابع

منهج الرماني

لقد أظهرت لنا هذه الدراسة بعض الجوانب المنهجية متمثلة في الطريقة التي اتبعها الرماني في بحث المسائل الكلامية الواردة عنه، ويمكن الوقوف على ملامح هذا المنهج فيما يلي:

أولاً: غلبة المنهج التحليلي على فكر الرماني:

أي أن المنهج الغالب في المسائل التي عرضناها للرماني كان هو منهج التحليل، وهذا واضح جدًا، فقد كان الرماني يأتي بالمسألة التي يريد بحثها فيعرضها ويحللها تحليلاً دقيقًا، مستدلاً عليها بالعديد من الأدلة، خاصة الأدلة القرآنية التي كان لها حضور قوي في استدلالات الرماني واستشهاداته في المسائل المختلفة.

وقد ظهر المنهج التحليلي بصورة قوية في بحث الرماني لمسألة الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، والتي ستؤكد لنا هذه الحقيقة المنهجية عند الرماني حين تعرضها في موضعها، وهو الفصل الثالث من هذا البحث.

ثانيًا: ظهور المنهج المقارن في أحيان قليلة:

استخدم الرماني المنهج المقارن في مواضع قليلة من المسائل التي عرضناها هنا خاصة حينما كان يقارن بلاغة القرآن بالكلام البليغ من كلام البشر ليثبت مزية البلاغة القرآنية وأنها في أعلى درجة وأسمى طبقة، لا يدانيها شيء من كلام الناس مهما كان بليغًا، وفي الفصل الثالث من بحثنا هذا مزيد توضيح لهذه النقطة.

ثالثًا: ميله إلى الابتكار واستخدام مناهج جديدة لم تعرف من قبله:

ومن أكثر الأشياء دلالة على هذا ما أجمع عليه مؤرخو الرماني من أنه ابتدع طريقة جديدة مزج فيها علم المنطق بعلم النحو، أي أنه استخدم المنطق الذي هو آلة العلوم، وقانون الفكر في تدريس النحو، وكان هذا المنهج الجديد مثار إنكار بين معاصريه، وقد سبقت الإشارة إلى هذه النقطة وتوضيحها منذ قليل.

رابعًا: الاعتماد على الجانب التقريري في بحثه للمسائل الكلامية:

وأعني بهذا أن الرماني كان يميل إلى تقرير رأيه في المسألة المبحوثة ويعرض عن ذكر أي آراء أخرى فيها، كأن هذا الذي ذكره هو الحق الذي لا ينبغي غيره، رغم أن المسألة قد يكون فيها آراء متعددة، وقد ظهر ذلك واضحًا فيما ذكره من الصفات الإلهية حيث ذهب إلى تأويلها، دون أن يذكر أن هناك رأيًا آخر معتبرًا في المسألة وهو إمرارها على ظاهرها.

وقد كان هذا التقرير بعبارة مختصرة سمة مميزة لمنهج الرماني، وقد قرر ذلك هو صراحة في كتابه النكت فقال إجابة لسائله: (سألت ـ وفقك الله ـ عن ذكر النكت في إعجاز القرآن دون تطويل بالحجاج، وأنا أجتهد في بلوغ محبتك والله الموفق للصواب) [1].

فهو يعتمد منهجًا معينًا وهو ذكر المسألة المخصوصة باختصار من دون تطويل حولها بالاحتجاج أو ذكر المخالفين له فيها، أو الرد عليهم إلى آخر ما يلزم المتصدي لمسألة من المسائل النظرية التي من طبيعة بحثها الأخذ والرد، وإذا كان هذا صادقًا في قضية إعجاز القرآن، فإنه أكثر صدقًا على منهج الرماني في مسألة الصفات الإلهية التي ذكرها والتي هي محل المبحث الأول من الفصل الثاني.

خامسًا: الميل إلى التقليد وفاءً لبعض شيوخه في بعض المسائل:

لقد أثبتنا في المبحث السابق أن الرماني معتزلي، وهذا الأمر محل إجماع بين مؤرخي الرماني فلا ريب أن يكون تابعًا لمذهبه، وفيًا لمعتقده، وإلى هذا الحد لا شيء يؤخذ على الرماني المعتزلي.

لكن الذي يؤخذ عليه تقليده لبعض شيوخ مذهبه وإن كان هذا الشيخ قد شذ عن اجماع المعتزلة.

---

(١) الرماني: النكت صـ٧٥ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن بتحقيق ـ محمد سلام ـ ومحمد خلف الله ـ دار المعارف سنة ١٩٧٦م.

وأقوى نموذج على هذا التقليد من الرماني، تقليده لشيخ المعتزلة إبراهيم بن سيار النظام في قوله بأن إعجاز القرآن إنما هو بالصرفة وهذا القول انفرد به النظام عن المعتزلة، بل هو أول من أحدثه وابتدعه في الإسلام، ومع أن جماهير المعتزلة ردوا على النظام ـ بمن فيهم الجاحظ تلميذ النظام ـ إلا أن الرماني قلد النظام في هذا القول، وقال بالصرفة كوجه معتمد من أوجه الإعجاز في القرآن، وهذه النقطة هي ما ستأتي مفصلة في الفصل الثالث من هذا البحث.

سابعًا: فإن الرماني كان صاحب ثقافة واسعة جمع فيها آراء السابقين عليه:

وهذا الذي لاحظناه حين عد أوجه إعجاز القرآن، فهو لم يقتصر على وجه واحد كما فعل القاضي عبدالجبار، ولم يقتصر على وجهين كما فعل الزمخشري، بل عدد الأوجه حتى أوصلها إلى سبعة، حتى إنه عدَّ الوجه الذي ذكره النظام ـ وهو الصرفة ـ وجهًا من وجوه الإعجاز، مما يدل على استيعابه لآراء السابقين وإحاطته بها، وقد ظهر ذلك فعلاً في بحثه لتلك المسألة مما جعل آراءه محل إعجاب الدارسين لقضية الإعجاز قديمًا وحديثًا وسنشير إلى تفاصيل ذلك في غير موضع من الفصل الثالث من هذه الدراسة.

ثامنًا: وأخيرًا فإن الرماني بهذا المنهج المتميز وتلك المكانة الكبيرة:

قد أثر تأثيرًا قويًا في اللاحقين من بعده، سواء في مدرسته الاعتزالية، أو في غيرها:

ففي الجانب الاعتزالي: ظهر تأثر الرماني بمن سبقه من شيوخ المعتزلة ثم أثر هو بقوة فيمن بعده، ونستطيع هنا أن نمثل بمثالين محددين:

المثال الأول: فيما يخص منهج التأليف في المسائل الكلامية: حيث كان لشيوخ المعتزلة الأوائل منهج خاص في صياغة مؤلفاتهم في المسائل الكلامية، وقد تأثر

الرماني بهذا المنهج عند المتقدمين وحافظ عليه، ونقله إلى من بعده، بحيث إنه قد وصل أوائل المعتزلة بأواخرهم في هذا المنهج.

يقرر هذه الحقيقة محققو كتاب "المغني" حين يذكرون أن الرماني حافظ على طريقة التأليف في علم الكلام والتي أثرت عن الأوائل، وساهم في تطويرها، إلى أن وصلت إلى القاضي عبدالجبار الذي جمع ذلك كله في كتابه "المغني".

يقول الأستاذ مصطفى السقا في مقدمة تحقيق الجزء الرابع عشر من كتاب "المغني" للقاضي عبدالجبار: (كان منهج الاعتزال منذ أسس هذا المذهب إمامهم الأول واصل بن عطاء أن يخصص لكل مسألة في أصول العقائد كتاب أو رسالة صغيرة، وقد ذكرت المراجع في ترجمة واصل أن من تصانيفه كتب ورسائل مثل:

كتاب: المنزلة بين المنزلتين، وكتاب: أصناف المرجئة، وكتاب: الخطب في التوحيد والعدل، وكتاب: معاني القرآن، وكتاب: ما جرى بينه وبين عمرو بن عبيد، وغيرها.

وسار كثير من المعتزلة على نهج واصل في تأليف الرسائل والكتب المفردة لبعض المسائل، نذكر منهم عالمًا اشتهر بمباحثه في علوم العربية، وفي عقائد المعتزلة وهو: أبو الحسن الرماني (٢٩٦ ـ ٣٨٤)، وقد ألف رسائل كثير نجد بينها وبين مباحث كتاب المغني للقاضي عبدالجبار تشابهًا في تسمية الأبواب الكبيرة مثل: أدلة التوحيد، استحقاق الذم، الإرادة، الأسماء والصفات لله تعالى، الأصلح الكبير والصغير، إعجاز القرآن وغيرها.

وهذه الموضوعات التي كتب فيها الرماني على مذهب أهل العدل والتوحيد مشتركة بينه وبين غيره من أئمة المذهب، ألف فيها كثير من أئمتهم، وأحدثوا في

أصولها تطورًا كبيرًا طبقة بعد طبقة، حتى تم نضجها عند أبي علي الجبائي، وولده أبي هاشم فلما جاء القاضي عبدالجبار أخذ هذا كله وأودعه كتابه"المغني")[1].

إذن: كان الرماني من أئمة الاعتزال الذين حافظوا على منهج شيوخه، بل وساهم في تطويره حتى تم نضجه، بحيث أصبح الرماني رافدًا من الروافد التي اعتمد عليها أشهر مؤلفي المعتزلة من المتأخرين، في أشهر موسوعة كلامية باقية للمعتزلة، وهو القاضي عبدالجبار في كتابه "المغني".

وهذا يدل على أن الرماني ـ كما قررنا ـ لم يكن من المعتزلة المغمورين بل كان في عداد أئمتهم، وفي الصف الأول منهم تقريرًا وتأليفًا وتطويرًا للمذهب وهذا ما يؤكد عليه الباحثون دائمًا حينما يتناولون الرماني بالدرس والبحث.

يقول الدكتور سعيد الأفغاني عن الرماني: (وأما الاعتزال فقد استجاب له عقله وثقافته ودراسته، شأنه في ذلك شأن كثير من أحرار الفكر من علماء المئتين الثالثة والرابعة، كالنظّام، وواصل بن عطاء، والجاحظ)[2].

ثم يقول: (والرماني من بين هذه الفئة كان يتفنن في الكلام على مذهب المعتزلة، وإن كتبه في الكلام أكثر من كتبه في اللغة والنحو بكثير)[3].

المثال الثاني: فيما يخص المسائل الكلامية ذاتها والتي ذكرها في تفسيره وأثرت فيمن بعده:

ونخص بالذكر المفسر المعتزلي الكبير الزمخشري الذي بات تأثره بآراء الرماني في تفسيره محل إجماع من العلماء الذين أكدوا أن (من التفاسير التي تأثر بها الزمخشري تفسير الرماني (٣٨٤) المسمى بالتفسير الكبير، ولم تبق لنا يد الزمن

---

(١) راجع: مقدمة تحقيق كتاب المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبدالجبار جـ٦ صـ١٤، تحقيق/ مصطفى السقا ود/ إبراهيم مدكور ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٥م.

(٢) د/ سعيد الأفغاني: مقدمة كتاب: توجيه إعراب أبيات ملغزة الإعراب للرماني صـ١٧ ـ مطبعة الجامعة السورية سنة ١٩٥٧م.

(٣) نفس المصدر صـ١٧ .

منه إلا أجزاء يسيرة....)[1] وسيأتي تفصيل لذلك وأمثلة في الفصل الثالث من هذا البحث إن شاء الله.

كذلك أكدوا على أن الرماني ضمن تفسيره الاعتزال وحذا الزمخشري حذوه حيث:

(انفرد الرماني عن زمرته من علماء النحو، إذ اكتفوا بالميل إلى الاعتزال، وقام هو دونهم بنصرته والتأليف فيه، وعرضه مبسوطًا على المتعلمين، حتى لقد خدم كُتب شيخه ابن الإخشيد بالشرح والتعليق، بل لقد عُدّ في شوب التفسير بالاعتزال رأس مدرسة من تلاميذها الزمخشري المشهور، فهو كثير الفوائد إلا أنه صرح فيه بالاعتزال وسلك الزمخشري سبيله وزاد عليه)[2].

وأما تأثير الرماني في غير المعتزلة فقد بدا واضحًا في جانبين هما:

الجانب البلاغي عمومًا حيث أصبحت آراء الرماني في هذا الجانب من أهم مصادر اللاحقين له.

والجانب الثاني: آراؤه في إعجاز القرآن وبلاغته خصوصًا، الذي أصبح الرماني من رواده الأوائل حتى نقل عنه خلق كثيرون منهم أعلام من أئمة أهل السنة وعلمائهم قديمًا وحديثًا، وسوف يكشف بحثنا لقضية إعجاز القرآن عند الرماني في الفصل الثالث عن تفاصيل ونماذج لذلك.

وبعد هذه الإطلالة على حياة الرماني ومذهبه وعقيدته ومكانته ثم منهجه ننتقل الآن إلى التعرف على بعض آرائه الكلامية في الفصلين التاليين.

---

(١) د/ مصطفى الجويني: منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه صـ٨٥ ـ الطبعة الثالثة ـ بدون تاريخ ـ دار المعارف.

(٢) د/ سعيد الأفغاني: مقدمة كتاب في أصول النحو صـ١٠٠ ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧م ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت، وراجع له مقدمة كتاب توجيه إعراب أبيات ملغزة الإعراب صـ١٨ .

الفصل الثاني
اللّه ـ تعالى ـ صفاته وأفعاله
عند الرماني

وهو يشتمل على تمهيد ومبحثين:

التمهيد: عن الأصول الخمسة عند المعتزلة.

المبحث الأول: صفات الله تعالى عند الرماني.

المبحث الثاني: أفعال الله وأفعال العباد عند الرماني.

الفصل الثاني

الله ـ تعالى ـ صفاته وأفعاله عند الرماني

تمهيد: الأصول الخمسة عند المعتزلة

يضع المعتزلة لأنفسهم أصولاً يتميزون بها عن غيرهم، ويجعلونها لازمة لكل من أراد أن يتسمى باسم الاعتزال، أو أن يكون واحدًا من فرقة المعتزلة٠

ويحصر المعتزلة هذه الأصول في خمسة يرون أن من قال بها كلها فهو معتزلي، وأن من خالفهم فيها كلها أو في بعضها. فهو إما كافر، وإما فاسق، وإما مخطئ، يقول أبو الحسين الخياط (وليس يستحق اسم الاعتزال أحد حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا كملت في الإنسان هذه الخصال فهو معتزلي)[1]٠

(١) الخياط: الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد صـ١٢٦ ـ ١٢٧ ـ بتحقيق د.نيبرج ـ الطبعة الثانية ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م ـ مكتبة الدار العربية للكتاب ـ بيروت٠

المبحث الأول

صفات الله تعالى عند الرماني

سبق أن ذكرنا أن الرماني كانت له مؤلفات خاصة في علم الكلام مثل كتاب الرسائل في الكلام، وكتاب صنعة الاستدلال، وكتاب الأسماء والصفات، وكتاب ما يجوز على الأنبياء وما لا يجوز وغيرها(١).

ولكن هذه الكتب ضاعت ولم يصل إلينا منها شيء، ومع ذلك فإننا لا نعدم التعرف على بعض آراء الرماني الكلامية من خلال ما وصل إلينا من كتبه خاصة كتاب النكت في إعجاز القرآن(٢)، وجزء من كتابه الجامع لعلم القرآن(٣).

ومن خلال إشاراته في تلك الكتب يمكننا التعرف على بعض آرائه الكلامية، ونبدأ بالصفات الإلهية كما يلي:

أولاً: إثبات صفة الوحدانية بدليل التمانع:

من المعروف عن المعتزلة أنهم يهتمون بالتوحيد اهتمامًا كبيرًا ويولونه عناية خاصة، فهو أول أصولهم، وأهم مبادئهم، ولقد أتى على المعتزلة حين من الدهر كانوا يعتبرون أنفسهم ـ وحدهم ـ المدافعين عن التوحيد، بل لقد صرحوا بذلك.

يقول أبو الحسين الخياط: (... وهل على الأرض أحد رد على أهل الدهر الزاعمين بأن الجسم لم يزل متحركًا. وحركاته محدثة سوى المعتزلة، وهل يُعرف أحد صحح التوحيد وثبت القديم ـ جل ذكره ـ واحدًا في الحقيقة، واحتج لذلك بالحجج

---

(١) راجع القفطي: إنباه الرواة جـ٢ صـ٢٩٥ .

(٢) مطبوع ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن بتحقيق محمد خلف الله، ود.محمد سلام.

(٣) هذا هو أشهر وأهم كتب الرماني لكنه مفقود، ولكن بعض الباحثين وهو الدكتور مساعد بن سليمان الطيار يذكر أنه عثر على جزء من هذا التفسير يبدأ بالآية ٩٨ من سورة آل عمران وينتهي بنهاية السورة، وهو في أربع وخمسين وثلاثمائة صفحة، راجع د/ مساعد بن سليمان الطيار: التفسير اللغوي للقرآن الكريم صـ٢٠٦ الطبعة الأولى سنة ١٤٣٢هـ ـ دار ابن الجوزي.

الواضحة، وألف فيه الكتب، ورد على أصناف الملحدين من الدهرية والثنوية سواهم)[1].

فالمعتزلة يرون أنفسهم هم المصححين للتوحيد، الناشرين له المحتجين عليه، المدافعين عنه وأنهم (المعنيون بالتوحيد والذب عنه من بين العالمين)[2].

وبناءً على ذلك فقد ساق المعتزلة أدلة كثيرة لإثبات صفة الوحدانية لله ـ عز وجل ـ كان من أشهرها هذا الدليل المعروف عند المتكلمين قاطبة بدليل التمانع.

وكان من الذين ذكروا هذا الدليل الرمانيّ، حيث ذكره معتبرًا إياه أصل الأدلة وأبلغها في إثبات التوحيد لله تعالى.

يقول الرماني: (قال ـ تعالى ـ ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٢] وهذا أبلغ ما يكون من الحجاج، وهو الأصل الذي عليه الاعتماد في صحة التوحيد؛ لأنه لو كان إله آخر لبطل الخلق بالتمانع بوجودهما دون أفعالهما)[3].

ويلاحظ هنا أن الرماني يستدل استدلالاً صحيحًا بآية من القرآن الكريم ليثبت الوحدانية عن طريق إثبات أنه لو كان هناك إلهان موجودان لبطل الخلق أو فسد نظامه؛ لأنه يمنع أحدهما الآخر عن أفعاله، لكن الحقيقة الواقعة أن الخلق موجود وفي غاية الدقة ونهاية الإتقان، فثبت أنه ليس هناك إلهان، بل إله واحد.

والواقع أن هذا الاستدلال من الرماني بهذه الآية على هذا المعنى، واعتبار هذه الآية هي الأصل والعمدة في باب التوحيد وإثبات الوحدانية متوافق تمامًا مع رأي المتكلمين أجمعين سنة ومعتزلة.

---

(١) الخياط: الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد صـ١٧ .

(٢) د/ محمد صالح السيد: أبوجعفر الإسكافي وآراؤه الكلامية والفلسفية صـ١٠٩ ـ دار قباء للنشر سنة ١٩٩٨م.

(٣) الرماني: النكت في إعجاز القرآن صـ١٠٩ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن بتحقيق محمد خلف الله ود/ محمد زغلول سلام ـ الطبعة الثامنة ـ دار المعارف بدون تاريخ.

فهذا الدليل قد اعتمد عليه كل المتكلمين كأصل في إثبات مسألة التوحيد.

فعند أهل السنة من الأشاعرة: نجد الإمام الأشعري يذكر هذا الدليل وهذه الآية على أنها دليل التوحيد الذي يتضمن تنبيه الله تعالى خلقه إلى أنه واحد بأفعاله المتسقة وأحكامه المرتبة.

يقول إمام أهل السنة: (نبه تعالى خلقه على أنه واحد باتساق أفعاله وترتيبها، وأنه ـ تعالى ـ لا شريك له فيها بقوله: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢] ووجه الفساد بذلك، لو كانا إلهين ما اتسق أمرهما على نظام، ولا يتم علم إحكام، وكان لابد أن يلحقهما العجز أو يلحق أحدهما عند التمانع في الأفعال والقدرة على ذلك)[١].

ثم يذكر الإمام الأشعري الأوجه المترتبة على جواز فرض إلهين وأنها جميعًا باطلة لما يترتب عليها من الفساد في العالم، ولما كان ذلك باطلاً فإن ما يؤدي إليه وهو فرض وجود إلهين باطل فثبت العكس وهو أنه ليس في هذا العالم إلا إله واحد[٢].

والإمام الأشعري هنا يشير إلى مسألة التمانع التي أصبحت عنوانًا لهذا الدليل فيما بعد، وقد اعتمد الأشاعرة كلهم فيما بعد على دليل التمانع واعتبره من عمد الأدلة في إثبات الوحدانية[٣].

---

(١) الإمام الأشعري: أصول أهل السنة والجماعة المسماة برسالة أهل الثغر صـ٣٩ بتحقيق د/محمد السيد الجليند ـ المكتبة الأزهرية للتراث بدون تاريخ.

(٢) نفس المصدر صـ٣٩ ـ ٤٠ .

(٣) راجع على سبيل المثال: الباقلاني: الإنصاف صـ٣٣٣، والجويني: الإرشاد صـ٢٧، والغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد صـ٥٢، والرازي: كتاب الأربعين في أصول الدين جـ٢ صـ٦٨٤ وغيرها من مصادر الأشاعرة.

وعند أهل السنة من الماتريدية: نجد الإمام الماتريدي رحمه الله يذكر هذا الدليل وهذه الآية ويبسط القول فيها بما يفيد ابطال احتمال وجود إلهين لأنه سيقع بينهما التمانع المؤدي إلى الفساد.

يقول إمام أهل السنة: (.... إنه لو كان أكثر من واحد ما احتمل وجود العالم إلا بالاصطلاح وفي ذلك فساد الربوبية، والمعتاد بين الملوك بذل الوسع منهم في قهر أشكالهم؛ ليكون المُلْك للقاهر ومنع كل منهم غيره عن إنفاذ حكمه وإظهار سلطانه ما استطاع، فإذا لم يكن بل نفذ سلطان العزيز الحكيم ثبت أنه الواحد، وهذا تأويل قوله ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٤٢] وقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[(١)] [الأنبياء: ٢٢].

ويأتي أبوالمعين النسفي أيضًا ليتابع شيخه في إثبات الوحدانية بأدلة كثيرة أشهرها هذه الآية الكريمة، ويشرحها شرحًا وافيًا يستخلص منه أنه إذا فرض وجود إلهين فإنه يؤدي إلى وقوع التمانع بينهما والتمانع يؤدي إلى الفساد لا محالة.

ويسمي النسفي هذه الدلالة بدلالة التمانع فيقول: (وهذه الدلالة تسمى التمانع، وأخذها المتكلمون من كلام الله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢] ثم يسهب أبو المعين في ذكر آيات أخرى تؤيد الوحدانية[(٢)].

وقد شاع استخدام الماتريدية كلهم بهذا الدليل على الوحدانية[(٣)].

وهكذا رأينا أن الاستدلال بهذه الآية على مسألة الوحدانية، وتسمية دلالتها بدلالة التمانع مشهور الذكر في كتب متكلمي أهل السنة، وهذا موافق لما ذكره

---

(١) الإمام الماتريدي: كتاب التوحيد صـ٢٠ بتحقيق د/ فتح الله حليف ـ دار الجامعات المصرية ـ بدون تاريخ، وراجع تأويلات أهل السنة جـ٧ صـ٣٣٥ بتحقيق د. مجدي باسلوم ـ الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٥م ـ دار الكتب العلمية.

(٢) أبوالمعين النسفي: تبصرة الأدلة في أصول الدين جـ١ صـ٢٣١ وما بعدها بتحقيق د/ محمد الأنور عيسى ـ الطبعة الأولى سنة ٢٠١١م ـ المكتبة الأزهرية للتراث.

(٣) راجع على سبيل المثال: الغزنوي: أصول الدين صـ٦٤ .

الرماني من أن هذه الآية من أبلغ أدلة وحجج التوحيد، وكذلك تسميته دلالتها بدلالة التمانع.

فإذا وصلنا إلى كتب المعتزلة الذين ينتمي إليهم الرّماني وجدناهم يهتمون بهذا الدليل أيضًا، بل ويجعلونه عمدة أدلة التوحيد لأنه صالح للرد على أي مخالف في الوحدانية.

يقول القاضي عبدالجبار: (وكل خلاف يذكر في ذلك ـ أي في التوحيد ـ فدليل التمانع يأتي عليه)[1].

ولذلك وجدناهم يتوسعون في شرح هذا الدليل توسعًا كبيرًا أكثر بكثير مما رأيناه عند متكلمي أهل السنة، بالرغم أن من أهل السنة ـ كالرازي مثلاً ـ من قد توسع جدًا في هذا الدليل وشرحه، إلا أن المعتزلة أسهبوا فيه وتوسعوا إلى حد كبير[2].

ونستطيع في نهاية هذه النقطة: أن نقرر أن كلام الرماني في إثبات الوحدانية بهذه الآية الكريمة، واعتباره إياها من أبلغ الأدلة والحجج في المسألة، وتسميته دلالة الآية بدلالة التمانع كل هذا يأتي متوافقًا ومنسجمًا مع كلام المتكلمين سنة ومعتزلة.

ثانيًا: الصفات الخبرية عند الرماني:

من المعروف أن المعتزلة هم نفاة الصفات، فهم لا يثبتون سوى الذات القديمة، وأما الصفات فهي عين الذات عندهم، فهو ـ سبحانه وتعالى ـ قادر بذاته، عالم بذاته مريد بذاته إلى آخر الصفات.

والذي دفعهم إلى ذلك هو ظنهم أن إثبات صفات قديمة مستقلة عن الذات سيؤدي إلى تعدد القدماء، وهذا هو الشرك بعينه بحسب زعمهم.

---

(١) القاضي عبدالجبار بن أحمد: المحيط بالتكليف صـ٢١٧ بتحقيق/ عمر السيد عزمي ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة بدون تاريخ، والمخالفون الذين يقصدهم القاضي عبدالجبار هنا هم النصارى والديصانة والمانوية والمجوس.

(٢) القاضي عبدالجبار: شرح الأصول الخمسة صـ٢٧٩ ، وراجع: الزمخشري: الكشاف جـ٣ صـ١١٠.

(فالمعتزلة تجمع على غاية واحدة وهي نفي إثبات الصفات حقيقة في الذات ومتميزة عنها، ولكنهم سلكوا طريقين في موقفهم من الصفات:

الطريق الأول: الذي عليه أغلبيتهم، وهو نفيها صراحة، فقالوا: إن الله عالم بذاته لا بعلم، وهكذا في باقي الصفات.

الطريق الثاني: الذي عليه بعضهم، وهو إثباتها اسمًا ونفيها فعلاً، فقالوا: إن الله عالم بعلم وعلمه ذاته، وهكذا بقية الصفات، فكان مجتمعًا مع الرأي الأول في الغاية وهي نفي الصفات.

والمقصود بنفي الصفات عندهم: هو نفي إثباتها حقيقة في الذات ومتميزة عنها، وذلك أنهم يجعلونها عين الذات، فالله عالم بذاته بدون علم، أو عالم بعلم وعلمه ذاته) [١].

ولذلك يؤكد الإمام الأشعري على أن المعتزلة (هم نفاة صفات رب العالمين)[٢]

وكذلك الشهرستاني: يؤكد على أن المعتزلة بعامتهم هم نفاة الصفات فيقول: (والذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد: القول بأن الله ـ تعالى ـ قديم، والقدم أخص وصف ذاته، ونفوا الصفات القديمة أصلاً، فقالوا: هو عالم بذاته، قادر بذاته، حي بذاته، لا بعلم وقدرة وحياة هي صفات قديمة، ومعان قائمة به؛ لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركته في الإلهية)[٣].

والواقع أن فكرة نفي الصفات تلك التي يتبناها المعتزلة تمتد جذورها إلى فكر المعتزلة الأوائل، بل إلى مؤسس المعتزلة واصل بن عطاء ذاته.

---

(١) مقدمة تحقيق كتاب العرش للحافظ الذهبي جـ١صـ٩٥بتحقيق محمد بن خليفة= =التميمي ـ الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م ـ عمادة البحث العلمي ـ المدينة المنورة.

(٢) الإمام الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة صـ١٥٨ ـ بتحقيق د/ فوقية حسين محمود ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٩٧هـ ـ دار الأنصار ـ القاهرة.

(٣) الشهرستاني: الملل والنحل جـ١ صـ٤٢ بتحقيق محمد سيد كيلاني ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ ـ دار المعرفة ـ بيروت.

وتلك الحقيقة يذكرها المرحوم الدكتور أبوريدة حين يقول: (ويرجع نفي الصفات إلى عهد واصل بن عطاء مؤسس مذهب المعتزلة فهي فكرة قديمة)[1].

وهو يستدل هنا بما ذهب إليه الشهرستاني من أن هذه الفكرة ظهرت عند واصل لكنها لم تبلغ كمالها بعد.

يقول الشهرستاني عن نفي صفات الله ــ تعالى ــ عند المعتزلة: (وكانت هذه المقالة في بدئها غير نضيحة، وكان واصل يشرع فيها على قول ظاهر، وهو الاتفاق على استحالة وجود الهين قديمين أزليين، قال: ومن أثبت معنى صفة قديمة فقد أثبت الهين)[2].

فإذا وصلنا إلى رأي الرماني في الصفات وجدنا الآتي:

١ – لم يتعرض الرماني لصفات المعاني التي أثبتها أهل السنة، ولم يأت على ذكرها، فلم نجد له ـ فيما بين أيدينا من نصوص له ـ كلامًا عن صفة القدرة أو العلم أو الإرادة أو غيرها من صفات المعاني.

٢ – ما ذكره الرماني من صفات إنما يندرج تحت ما يعرف بالصفات الخبرية أو الموهمة للتشبيه، كالإتيان والمجيء والعندية، وكذلك له كلام في بعض الصفات التي يمكن أن يسميها صفات الفعل، كالاستهزاء والمخادعة.

والرماني في تلك الصفات التي ذكرها لم يخرج عن المنهج العام الذي عليه عامة المتكلمين في تناولهم لهذه الصفات.

ويمكننا أن نذكر بعض الأمثلة لتناول الرماني للصفات الإلهية فيما يلي:

١ – المجيء والإتيان:

---

(١) د/ محمد عبدالهادي أبوريدة: إبراهيم بن سيار النظام وآراؤه الكلامية والفلسفية صـ٩٢ ـ تقديم فيصل بدير عون ـ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠١٠م.

(٢) الشهرستاني الملل والنحل جـ١ صـ٤٥ .

وهاتان الصفتان من أنواع الصفات الخبرية أي التي جاء بها الخبر في الكتاب والسنة، وقد يطلق عليها الصفات الموهمة للتشبيه[1].

وقد ذكر الرماني هاتين الصفتين وهو يتحدث عن أقسام المبالغة فيقول: (الضرب الثالث: إخراج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة، كقول القائل: جاء الملك، إذا جاء جيش عظيم له، ومنه قوله ـ عزوجل ـ ﴿ **وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** ﴾ [الفجر: ٢٢] فجعل مجيء دلائل الآيات مجيئًا له على المبالغة في الكلام، ومنه: ﴿ **فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ** ﴾ [النحل: ٢٦] أي: أتاهم بعظيم بأسه، فجعل ذلك إتيانًا له على المبالغة) [2].

فالرماني هنا: لا يعتبر أن المجيء حقيقي بل مجازي خرج مخرج المبالغة، وأن الله لم يجيء مجيئًا حقيقيًا يستلزم الانتقال والحركة، وإنما جاءت آياته وظهرت دلائل قدرته، وكذلك لم يأت إتيانًا حقيقيًا كالمنسوب إلى المحدثات، وإنما أتى بأسه وعظيم انتقامه.

فهل كان الرماني محقًا في هذا الفهم وهذا التأويل؟

في الحقيقة أن الرماني هنا قد صنع كصنيع عامة المتكلمين في هذه الآيات المشتملة على صفات توهم التشبيه بين الله وبين خلقه، فقد اتفقوا جميعًا على ضرورة تأويل تلك الآيات بما يتناسب مع كمال الله تعالى.

---

(١) يعرف المتكلمون المتشابه بأنه ما كانت دلالة اللفظ فيه غير راجحة، وسمي بالمتشابه لأن عدم الفهم حاصل فيه. الرازي: أساس التقديس صـ٢٠٣، ويعرفه أبوالبركات النسفي بأنه: ما لا يحتمل وجهًا واحدًا من التأويل بل وجوهًا، ويرى أنه يجب أن ترد المتشابهات إلى المحكمات. راجع النسفي مدارك التنزيل جـ١ صـ١٤٦ ، ويذكر الشريف الرضي أن الآيات المتشابهة هي التي يستعمل فيها النظر ويُعمل فيها الفكر، ويتفاضل العلماء في استفتاح مبهمها، واستنطاق معجمها. راجع الشريف الرضي: المجازات النبوية صـ٤٩ .

(٢) الرماني: النكت في إعجاز القرآن صـ١٠٤ ـ ١٠٥ .

والسبب في ذلك أن هذه النصوص إن بقيت على ظاهرها قد يفهم منها نسبة أمر لا يليق بالله ـ عز وجل ـ من اعتقاد التجسيم، أو تشبيهه بشيء من مخلوقاته، فينبغي حمل هذه الظواهر على معان تليق بالله تعالى.

(فجميع ما ورد في الشرع من المشتبهات التي يستحيل ظواهرها على الله ـ تعالى ـ لأجل استحالة التجسيم والتشبيه في حقه ـ تعالى ـ فتأويل ذلك كله واجب بالكتاب والسنة والإجماع) [(١)].

ويذكر أبوالمعين النسفي: أن الآيات المتشابهة التي يتضمن ظاهرها المحال في حق الله ـ تعالى ـ (يجب أن تصرف إلى وجه من التأويل يوافق التوحيد، ولا يناقض الآية المحكمة) [(٢)].

ويشير الآمدي أيضًا إلى أن تأويل هذه النصوص يؤدي إلى التخلص من شبهة التجسيم والتشبيه[(٣)].

ولذلك رأينا المتكلمين يفسرون صفتي المجيء والإتيان بنفس التفسير الذي أورده الرماني منذ قليل.

فالقاضي عبدالجبار من المعتزلة يرى أن حمل إتيان الله على حقيقته غير جائز في حق الله ـ تعالى ـ لما يتضمنه من محالات في حق الله تعالى.

ففي قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [البقرة: ٢١٠].

---

(١) أبو علي عمر السكوني: لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام صـ٣٥ ـ= =منشورات الجامعة التونسية العدد ١٢ صـ٤٩٧٥ .

(٢) أبو المعين النسفي التمهيد لقواعد التوحيد جـ١ صـ٣٨ .

(٣) راجع الآمدي: غاية المرام في علم الكلام صـ١٣٨ بتحقيق د/ حسن الشافعي ـ طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٩٧١م.

يقول القاضي عبدالجبار: (إن ظاهر الكلام لا يصح أن يقول به قوم؛ لأن من حمل ذلك على ظاهره فلابد من أن يعترف فيه ـ تعالى ـ بأنه جسم مؤلف مصور، وذلك يوجب فيه الحدوث، والمراد بذلك عندنا أن متحملي أمره يأتون على هذه الوجه

وقد بين ذلك في سورة النحل فقال: ﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [النحل: ٣٣] ونبه بذلك على أنه ذكر نفسه في هذا الموضع وأراد أمره، ولو صح حمل ذلك على ظاهره لوجب مثله في قوله تعالى: ﴿ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ ﴾ [النحل: ٢٦] وفيما شاكله من آي التشبيه)[1].

وقد ذهب المتكلمون من أهل السنة إلى تأويل هاذين الأمرين بنفس هذا التأويل السابق.

فالفخر الرازي يقرر أن المجيء والإتيان يتضمنان الحركة، وهي محالة على الله ـ تعالى ـ؛ لأنها من صفات الأجسام والله ليس كذلك، فيقول: (واعلم أنه ثبت بالدليل العقلي أن الحركة على الله ـ تعالى ـ محال؛ لأن كل ما كان كذلك كان جسمًا، والجسم يستحيل أن يكون أزليًا، فلابد فيه من التأويل، وهو أن هذا من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، ثم ذلك المضاف ما هو؟ فيه وجوه:

أحدها: وجاء أمر ربك بالمحاسبة والمجازاة.

وثانيها: وجاء قهر ربك، كما يقال: جاءتنا بنو أمية أي: قهرهم.

وثالثها: وجاء جلائل آيات ربك؛ لأن هذا يكون يوم القيامة، وفي هذا اليوم تظهر العظائم وجلائل الآيات، فجعل مجيئها مجيئًا له تفخيمًا لشأن تلك الآيات.

ورابعها: وجاء ظهور ربك؛ وذلك لأن معرفة الله تصير في ذلك اليوم ضرورية، فصار ذلك كظهوره وتجليه للخلق، فقيل: وجاء ربك أي: زالت الشبهة وارتفعت الشكوك.

---

(١) القاضي عبدالجبار: متشابه القرآن جـ١ صـ١٩٢، الزمخشري: الكشاف جـ٤ صـ٧٤١ وراجع تفسير أبي مسلم الأصفهاني المعتزلي صـ٢٦٠ .

خامسها: أن هذا تمثيل لظهور آيات الله وتبيين آثار قهره وسلطانه)[1].

٢ - العندية أو العلو:

يذكر الرماني هذه الصفة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩] فيقول: (ويقال: ما معنى ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ هنا؟

الجواب فيه قولان:

الأول: بحيث لا يملك لهم أحد نفعًا ولا ضرًا إلا ربهم، وليس ذلك على قرب المسافة؛ لأنه من صفات الأجسام.

والوجه الآخر: عند ربهم أحياء، من حيث يعلمهم كذلك دون الناس)[2].

وقد وردت العندية في مواضع من القرآن، منها هذا الموضع الذي ذكره الرماني في سورة آل عمران في وصف مكانة الشهداء وقربهم من ربهم، ومنها مواضع أخرى، كقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، وقوله تعالى: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴾ [فصلت: ٣٨].

وقد اتفقت كلمة المفسرين على أن العندية معناها هو القرب، والقرب ليس قرب مكان ولا مسافة، بل هو قرب منزلة ومكانة.

يقول الزمخشري: (وقوله: ﴿ عِندَ رَبِّكَ ﴾ عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة)[3]

ويقول النسفي: (﴿ عِندَ رَبِّكَ ﴾ مكانة ومنزلة لا مكانًا ونزلاً)[4].

---

(١) الرازي: مفاتيح الغيب جـ٣١ صـ١٥٩ ، وراجع البيضاوي: أنوار التنزيل جـ٥ صـ٣١١ ، والنسفي: مدارك التنزيل جـ٣ صـ٦٤١، والشوكاني: فتح القدير جـ٥ صـ٥٣٥ .

(٢) الرماني: الجامع لعلم القرآن نقلا عن التفسير اللغوي للقرآن الكريم صـ٢١٥ .

(٣) الزمخشري: الكشاف جـ٤ صـ٢٠٠ .

(٤) النسفي: مدارك التنزيل جـ٧ صـ٣٥٩ .

ويقول القرطبي: (هذا على وجه التشريف لهم، وأنهم بالمكان المكرم، فهو عبارة عن قربهم في الكرامة، لا في المسافة) [١].

٣ - التعجب:

يذكر الرماني هذه الصفة في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ﴾ [آل عمران: ١٠١] فيقول: (ويقال: ما التعجب؟ الجواب: حدوث إدراك ما لم يكن يقدر لخفاء سببه وخروجه عن العادة في مثله، ولذا لم يجز في صفات القديم، ولكن يجوز في صفته تعجيب العباد من بعض الأمور، وصيغته التي تدل عليه في لغة العرب: ما أفعله، وأفعل به، إلا أنه قد يجيء كلام مضمن معنى التعجب وإن لم يكن في الأصل له)[٢].

فالرماني هنا يرى أن العجب بمعناه الحقيقي الذي هو انفعال في النفس حين تدرك أمرًا خارجًا عن المألوف ولم يكن حدوثه متوقعًا لخفاء سببه، هذا المعنى الحقيقي غير جائز على الله ـ تعالى ـ؛ لأن الله ـ تعالى ـ لا يخفى عليه ولا يبدو له شيء لم يكن عالمًا به من قبل.

والحقيقة أن صفة العجب صفة ثابتة لله تعالى بالقرآن والسنة، وقد ذهب مفسرو القرآن وشراح السنة إلى فهم معنى التعجب المنسوب إلى الله تعالى إلى معنى يليق.

فإن العجب المنسوب إلى الله ـ تعالى ـ إن كان في أمر محمود فإنه يُحمل على استحسان الله ـ تعالى ـ لهذا الأمر ورضاه عنه، وإن كان العجب في أمر مذموم فإنه يحمل على إنكار الله ـ تعالى ـ لهذا الأمر وعدم رضاه عنه، وذلك أن: (العجب من الله ليس كالعجب من الآدميين، فالعجب من الآدميين اكباره وتعظيمه،

---

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن جـ١٥ صـ٣٦٣ .

(٢) الرماني: الجامع لعلم القرآن الآية ١٠١ من سورة آل عمران نقلاً عن التفسير اللغوي للقرآن الكريم.

والعجب من الله فيكون بمعنى الإنكار والذم، وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا، كما جاء في الحديث عجب ربكم من شاب ليست له صبوة)[١].

وكذلك قد يحمل العجب المنسوب إلى الله تعالى على لازم معناه أي أن اللفظ يطلق ولا يراد به الحقيقة وإنما لازمه.

يقول الكرماني: (العجب لا يصح على الله ـ تعالى ـ فما معناه؟ قلت: القاعدة الكلية في إطلاق ما يستحل على الله ـ تعالى ـ أن يراد لازمه وغايته نحو الرضا والإثابة) [٢] وهذا بالطبع في الأمر المحمود كالحديث السابق.

ويقول الخطابي: (إطلاق العجب لا يجوز على الله تعالى، وإنما معناه الرضا وحقيقته أن ذلك الصنيع حل عند الله محل القبول ومضاعفة الثواب عليه محل العجب عندكم) [٣].

وهذه الآية التي أوردها الرماني وذكر أن الاستفهام فيها متضمن معنى التعجب، معناها هي وأمثالها في القرآن أن الله ـ تعالى ـ يطلب من الكفار سببًا دافعًا إلى الكفر، أي أنهم كيف يكفرون بالله ـ تعالى ـ وقد اجتمعت عندهم الأسباب التي تدعوهم إلى الإيمان فكان اللائق في حقهم الإيمان لا الكفر.

وهذا ما أورده المفسرون في هذا الموضع وغيره ففي قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٨] يذكر المفسرون أن هذا الاستفهام (إنكار وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم الأسباب الداعية إلى الإيمان، الصارفة عن الكفر) [٤].

---

(١) الأمير الصنعاني: التحبير لإيضاح معاني التيسير جـ٢ صـ٤٩٤ ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٣٣هـ ـ مكتبة الرشد بالرياض.

(٢) الكرماني: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري جـ١٣ صـ٢٢ الطبعة الثانية سنة ١٩٨١م ـ دار إحياء التراث العربي ـ لبنان.

(٣) الكواكب الدراري جـ١٨ صـ١٣٥ .

(٤) راجع: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن جـ٢ صـ٣١ .

ويقول الواحدي أيضًا في قوله تعالى ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ ﴾: (وكيف هنا استفهام في معنى التعجب، وإنما تضمنت صيغة الاستفهام معنى التعجب؛ لأنها طلب للجواب عما حمل على الفساد، ومما لا يصح فيه اعتذار) [1].

أي أن الله تعالى يذكر لعباده أن أمر الكفار عجيب حيث تضافرت عندهم الأسباب الداعية إلى الإيمان ومع ذلك اختاروا الكفر؟!

وهكذا ذكر الرماني نماذج لهذا النوع من الصفات وذهب فيها مذهب عامة المتكلمين من منع حملها على ظاهرها لما يتضمنه من محال على الله تعالى، وأنه يجب تأويلها وتفسيرها على معنى يليق بالإطلاق عليه سبحانه وتعالى.

(١) الواحدي: التفسير البسيط جـ٥ صـ٤٦٢ .

المبحث الثاني

أفعال الله وأفعال العباد

تعتبر مسألة أفعال الله وأفعال العباد من المسائل الكلامية الصعبة والمعقدة، فهي تمثل إحدى المشكلات الرئيسة في علم الكلام التي كثر حولها الجدل والمناقشات.

ومرد هذا إلى أن النصوص الشرعية الواردة في هذه المسألة ـ خاصة نصوص القرآن ـ فيها ما يدل على أن الله ـ تعالى ـ هو الخالق لكل شيء من الذوات والأعمال، وفيها ما يدل على أن العبد هو المسئول عما يعمل، وأن أفعاله منسوبة إليه، وبالتالي فهو المحدث لأفعاله حتى تصح هذه النسبة، وحتى يكون هناك معنى لهذه المسئولية.

يصور ابن رشد صعوبة هذه المسألة وتعارض الأدلة فيها فيقول: (وهذه المسألة ـ يعني أفعال العباد ـ من أعوص المسائل الشرعية، وذلك أنه إذا تؤملت دلائل السمع في ذلك وُجدت متعارضة، وكذلك حجج العقول) [1].

والحقيقة أن الخلاف المعتد به في هذه المسألة هو الخلاف بين المعتزلة وأهل السنة.

فالمعتزلة:

يثبتون قدرة العبد على أفعاله، بل يقولون: إن العبد هو المحدث لأفعاله والموجد لأعماله الاختيارية، وإن الله ليس بخالق لهذه الأعمال.

يقول القاضي عبدالجبار: (اتفق كل أهل العدل على أن أفعال العباد من تصرفهم وقيامهم وقعودهم حادثة من جهتهم، وأن الله ـ عزوجل ـ أقدرهم على ذلك،

(١) ابن رشد: مناهج الأدلة صـ٢٢٤ بتحقيق د/ محمود قاسم ـ الطبعة الثالثة ـ مكتبة الأنجلو ـ بدون تاريخ.

ولا فاعل لها ولا محدث سواهم، وأن من قال: إن الله ـ سبحانه ـ محدثها وخالقها فقد عظم خطؤه)[١].

ويقول القاضي أيضًا: (إن أفعال العباد لا يجوز أن توصف بأنها من الله ـ تعالى ـ ومن عنده ومن قبله، وذلك واضح فإن أفعالهم حدثت من جهتهم، وحصلت بدواعيهم وقصودهم)[٢].

وقد أورد المعتزلة كثيرًا من الأدلة لتأييد فكرتهم تلك[٣].

وأما أهل السنة: فإنهم يرون أن الخالق لكل ما في الوجود من الأشخاص والأعمال هو الله ـ وحده ـ الذي لا خالق له ولا رب سواه.

يقول القاضي الباقلاني: (اعلم أن مذهب أهل السنة والجماعة أن الله ـ تعالى ـ هو الخالق ـ وحده ـ لا يجوز أن يكون خالق سواه؛ فإن جميع الموجودات من أشخاص العباد وأفعالهم وحركات الحيوانات قليلها وكثيرها، حسنها وقبيحها خلق له ـ تعالى ـ لا خالق لها غيره) [٤].

ويقول إمام الحرمين: (الرب ـ سبحانه ـ متفرد بخلق المخلوقات، فلا خالق سواه، ولا مبدع غيره، وكل حادث فالله محدثه) [٥].

ويذكر الشهرستاني ـ أيضًا ـ : (أن مذهب أهل الحق من أهل الملل وأهل الإسلام أن الموجد لجميع الكائنات هو الله ـ سبحانه ـ فلا موجد ولا خالق إلا هو)[٦].

---

(١) القاضي عبدالجبار: المعنى في أبواب التوحيد والعدل جـ٨ صـ٣ ـ بتحقيق د.توفيق الطويل وسعيد زايد ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة بدون تاريخ.

(٢) شرح الأصول الخمسة صـ٧٧٨ .

(٣) راجع في ذلك: المغني جـ٨ صـ٢٦٥ وما بعدها، وشرح الأصول الخمسة صـ٣٣٢ وما بعدها.

(٤) الباقلاني: الإنصاف صـ١٣٧ ـ ١٣٨ .

(٥) إمام الحرمين: لمع الأدلة صـ١٢٠ بتحقيق د/ فوقية حسين محمود ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٨٧م ـ عالم الكتب.

(٦) الشهرستاني: نهاية الإقدام في علم الكلام صـ٥٤ بتحقيق الفريد جيوم ـ مكتبة المتنبي بدون تاريخ.

وقد استدل أهل السنة لمذهبهم هذا بأدلة كثيرة جدًا[1].

رأي الرماني:

بما أن الرماني معتزلي فإنه قد تبنى وجهة نظر المعتزلة في مسألة أفعال الله وأفعال العباد، فقد ذكر رأيه في ثلاثة أمور في تلك القضية ونحا فيها نحو الاعتزال الذي يعتقده، وهذه الأمور هي:

ـ نفي خلق الله ـ تعالى ـ لأفعال العباد.

ـ الله لا يخلق الشر.

ـ قوله بالصلاح والأصلح، ويمكن من خلال كلام الرماني المختصر تناول تلك الأمور الثلاثة فيما يلي:

أولاً: الرماني ينفي أن يكون الله خالقًا لفعل العبد: يذكر الرماني هذه الفكرة وهو يتحدث عن أنواع المبالغة في القرآن الكريم فيقول: (الضرب الثاني: المبالغة بالصيغة العامة في موضع الخاصة كقوله تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ١٠٢] وكقول القائل: أتاني الناس، ولعله لا يكون أتاه إلا خمسة فاستكثرهم وبالغ في العبارة عنهم)[2].

ومعنى هذا النص من الرماني واضح في أن قوله ـ تعالى ـ ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ ليس على حقيقته من معنى العموم فيه، بل خرج مخرج المبالغة أي التعبير عن البعض المخصوص بلفظ كلي عام وهو لفظ كل شيء، ويكون معنى الآية ـ بحسب الرماني والمعتزلة ـ أنه خالق بعض الأشياء لا كلها، وأفعال العباد من ذلك البعض الذي لم يخلقه الله ولم يوجده.

---

(١) راجع على سبيل المثال: الباقلاني: الإنصاف صـ١٤٠ وما بعدها، وشرح المقاصد للتفتازاني جـ٤ صـ٢٢٧ وما بعدها. والجويني: الإرشاد صـ٧٩ وما بعدها.

(٢) الرماني: النكت في إعجاز القرآن صـ١٠٤ .

إذن: المبالغة هنا ـ كما يقول الرماني ـ واضحة، وهي أنه عبر بلفظ العموم الذي يفيد أنه خلق كل شيء، بينما الواقع أن العباد هم الخالقون لأفعالهم، فتكون أفعال العباد غير داخلة في هذا العموم الوارد في الآية على طريقة المبالغة.

والواقع أن نفي خلق الله تعالى لأفعال العباد فكرة اعتزالية عامة(١)، فقد أجمعوا على أن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم، وأنهم المحدثون لها(٢).

وتفسير هذه الآية الكريمة بأنها لا تفهم إلا على وجه المبالغة بالتعبير باللفظ العام وإرادة المعنى الخاص ـ كما زعم الرماني ـ قد جاء من بعده من فسر الآية بنفس المعنى، مستعملاً نفس اللفظ، وهو المبالغة والتعبير بالعام عن الخاص، وأقصد به القاضي عبدالجبار الذي فسر الآية بنفس تفسير الرماني.

يذكر القاضي عبدالجبار هذه الآية الكريمة ويرى أن العموم الوارد فيها ليس على حقيقته فيقول عن قوله تعالى ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾: (إن هذه اللفظة في الإثبات ليس المقصد بها التعميم؛ لأن قول القائل: أكلت كل شيء، وتحدثنا بكل شيء، وفعلت كل شيء، وقال تعالى: ﴿تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النحل: ٨٩] وقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقوله: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥] وقوله: ﴿يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [القصص: ٥٧] وإنما المقصد بذلك المبالغة في الكثير من ذلك النوع المذكور، ولا يعرف هذا الكلام في باب الإخبار عما يفعل الإنسان عما يحدث من الأمور مستعملاً إلا على هذا الوجه، فلا يصح أن يدعى فيه العموم)(٣).

---

(١) راجع الإمام الأشعري:مقالات الإسلاميين جـ١صـ٢٧١، وزهدي جار الله: المعتزلة صـ٩٢ .

(٢) راجع القاضي عبدالجبار: شرح الأصول الخمسة صـ٣٢٣ .

(٣) القاضي عبدالجبار: متشابه القرآن جـ١ صـ٣٢٣ بتحقيق د/ عدنان زرزور ـ دار التراث ـ القاهرة ـ بدون تاريخ.

وفي موضع آخر يذكر القاضي عبدالجبار أيضًا بأن المراد من الآية الكريمة هو (التكثير والمبالغة لا أنه عموم في الحقيقة كقوله تعالى:﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النمل: ٢٣] وذلك مذهب العرب في المبالغة)[١].

فما ذهب إليه القاضي عبدالجبار هو ذاته ما ذهب إليه الرماني من قبله من فهم الآية على طريقة المبالغة، حتى يقررا مذهبهما الاعتزالي في نفي خلق الله تعالى لأفعال العباد.

ولكن كيف يفهم المعتزلة لفظ الخلق الوارد في هذه الآية الكريمة؟!

لقد رأينا من المعتزلة تحكمًا على اللغة وحجرًا عليها في فهم للفظ الخلق هنا، حيث إنهم اختاروا من معاني الخلق معنى واحدًا وحملوا اللفظ عليه، ومنعوا تفسيره بأي معنى آخر، حتى ولو كان قويًا في اللغة.

وهذا المعنى هو التقدير والتدبير، يقول الشريف المرتضى: (إن الخلق هو التقدير والتدبير) [٢].

ويقول القاضي عبدالجبار: (إن ظاهر قوله ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الانعام: ١٠١] يقتضي أنه قدر ودبر، ولا يوجب في اللغة أنه فعل ذلك وأحدثه؛ ولذلك قال الشاعر:

ولأنت تفري ما خلقت ∴ وبعض القوم يخلق ثم لا يفرى

فأثبته خالقًا من حيث إنه قدر ودبر، وإن لم يفر الأديم، ومتى حمل الكلام على هذا الوجه كان حقيقته: أنه ـ تعالى ـ وإن لم يحدث أفعال العباد فقد قدرها ودبرها وبين أحوالها)[٣].

---

(١) القاضي عبدالجبار: تنزيه القرآن عن الطاعة صـ١٢٤ ـ دار النهضة الحديثة ـ بيروت ـ بدون تاريخ.

(٢) الشريف المرتضى: عرر الفوائد ودرر القلائد: جـ٢ صـ١٦٢ ـ تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ـ الطبعة الثانية ١٣٣٨هـ ـ مكتبة ذوي القربي ـ إيران.

(٣) متشابه القرآن جـ١ صـ٣٢٢ .

فالخلق عند المعتزلة هو التقدير والتدبير؛ ولذلك لا يمنع المعتزلة من إطلاق لفظ الخلق على العبد كما يطلقونه على الله تعالى٠

فإنهم يطلقون الخلق على الله ـ عز وجل ـ، ويكون معنى خلقه لأفعال العباد أنه مقدر لها ومعرف لنا مقاديرها ومراتبها وما به نستحق عليها من الجزاء، وليس يمتنع في اللغة أن يكون الخالق خالقًا لفعل غيره إذا قدره ودبره، ولا يمتنع أن يقال إنه خالق للأعمال على هذا المعنى(١)٠

وكذلك يطلق المعتزلة لفظ الخلق على العبد، فيقول القاضي عبدالجبار: (إنا لو خلينا وقضية اللغة لأجرينا هذا اللفظ على الواحد منا كما نجريه على الله؛ لأن الخلق ليس بأكثر من التقدير) (٢)٠

وهكذا فالخلق عند المعتزلة لا يعني إلا التقدير والتدبير، ولا مانع ـ عندهم ـ من أن يطلقوا الخلق بهذا المعنى على العبد، كما يطلق على الله تعالى)(٣)٠

وإنما قلنا إن صنيع المعتزلة هنا يعد تحكمًا في اللغة وحجرًا عليها لأنهم اختاروا معنى واحدًا للفظ الخلق، وفهموا المسألة من خلاله، ولم ينبهوا على أن هناك معنى ثانيًا للخلق أورده اللغويون بل أجمعوا على صحته، وهذا المعنى هو الإنشاء والاختراع والإيجاد٠

يقول صاحب تهذيب اللغة: (الخلق في كلام العرب ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه) (٤)٠

---

(١) الشريف المرتضى: غرر الفوائد جـ٢ صـ٢٠٦ ٠

(٢) شرح الأصول الخمسة صـ٣٨٠ ٠

(٣) يذكر إمام الحرمين أن المتقدمين من المعتزلة كانوا يمتنعون من تسمية العبد خالقًا لقرب عهدهم بإجماع السلف على أنه لا خالق إلا الله، ثم تجرأ المتأخرون منهم وسموا العبد خالقًا على الحقيقة. راجع الجويني: الإرشاد صـ٧٩ ٠

(٤) الأزهري: تهذيب اللغة جـ٢/ ٤٠٩ بتحقيق محمد عوض ـ الطبعة الأولى سنة ٢٠٠١م ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت٠

ويقول ابن سيده: (خَلَق الله الشيء خلقًا: أحدثه بعد أن لم يكن)[١].

ويذكر ابن منظور أن الخالق هو: (الذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة)[٢].

وقال الزبيدي: إن معاني الخلق عند العرب (الإنشاء على مثال أبدعه، وكل شيء خلقه الله فهو مبتدؤه على غير مثال سبق إليه: ألا له الخلق والأمر)[٣].

فتفسير الخلق بأنه الإيجاد والإنشاء والاختراع من عدم معنى لغوي صحيح وقوي، وقد أغفله المعتزلة هنا لأنه يدل على خلاف مذهبهم.

وبهذا يظهر لنا أن الرماني يقول بنفي خلق الله ـ تعالى ـ لفعل العبد، بل العبد هو المحدث لفعله والموجد له، وأن ما ورد من أن الله خالق كل شيء إنما جاء بلفظ العموم الذي لا يقصد به حقيقته.

ثانيًا: الرماني ينفي إن يكون الله تعالى خالقًا للشر:

يذكر الرماني ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ** ﴾ [آل عمران: ١٩١] فيقول: (ويقال: ما معنى سبحان؟ الجواب: تنزيهًا هو لك مما لا يجوز في صفتك، وقال الشاعر:

أقول لما جاءني فخره ∴ سبحان من علقمة الفاخر

وقال الآخر:

سبحانه ثم سبحانًا يعود له ∴ وقبلنا سبح الجودي والجمد

---

(١) ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم جـ٢ صـ٢٧٥ تحقيق عبدالحميد هنداوي ـ الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٠م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٢) ابن منظور: لسان العرب جـ١٠ صـ٨٢ ـ الطبعة الأولى ـ دار صادر ـ بيروت ـ بدون تاريخ.

(٣) الزبيدي: تاج العروس جـ١ صـ٢٨٩ ـ تحقيق د/ عبدالستار فراج ـ مطبعة حكومة الكويت سنة ١٩٦٥م.

فهو تعظيم لله ـ جل وعز ـ من الشر وصفات النقص)[1].

والواضح من كلام الرماني هذا أنه يشتمل على أمرين أحدهما مقبول والآخر مردود.

فأما الأمر المقبول: فهو تفسيره التسبيح بأنه تنزيه الله تعالى عن صفات النقص وعن كل ما لا يليق بأن يوصف به الله تعالى، وهذا محل اتفاق بين كل المسلمين الذين يعتقدون الكمال المطلق لمعبودهم جل في علاه.

ف: (سبحان الله معناها: تنزيه الله عن كل ما لا ينبغي له أن يوصف به، وسبحته تسبيحًا أي: نزهته تنزيهًا، وقال سيبويه: سبحان الله كقولك براءة الله من السوء، كأنه قال: أبرئ الله من السوء) [2].

وأما الأمر غير المقبول: فهو إشارة الرماني هنا إلى مذهبه، وهو أن الله منزه عن الشر بمعنى إنه لا يخلقه.

والمعتزلة ـ كما هو معلوم عنهم ـ يذهبون إلى نفي خلق الله تعالى للشر؛ ولذلك ذهبوا إلى نفي خلق الله لأفعال العبد، ذلك (أن أفعال العباد فيها ما هو ظلم وكذب وكفر، فلو كان الله خالقها لكانت تلك القبائح من خلقه تعالى؛ لأن من فعل شيئًا كان ذلك الشيء منسوبًا إليه، وهذا ما لا يجوز في حقه ـ عزوجل ـ، وشيء آخر وهو كيف يخلق الله أفعال عباده ويقدرها لهم ثم يعاقبهم عليها؟ أليس من أجبر غيره على معصية ثم عذبه عليها كان ظالمًا له؟ ومن أعان فاعلاً على فعل الظلم ثم جازاه عليه كان جائرًا؟)[3].

فالمعتزلة يرون أنه لابد من أن نحكم على أفعال الله كلها أنها حسنة وأنه ما بدا في الأفعال من جوانب غير حسنة فلا يجوز نسبتها إلى الله تعالى بل تنسب إلى

---

(١) الرماني: الجامع لعلم القرآن الآية ١٩١ نقلاً عن التفسير اللغوي للقرآن الكريم صـ٢١١ .

(٢) الأزهري: تهذيب اللغة جـ٤ صـ١٩٦ .

(٣) زهدي جار الله: المعتزلة صـ٩٧، والقاضي عبدالجبار: المغني جـ٦ صـ١٧٧، والمغني جـ٦ صـ١٧٧، والقاضي عبدالجبار: شرح الأصول الخمسة صـ١٣٣ .

العباد، ولذلك لم يمانعوا من أن يخلق العبد بعض أفعاله ويحدثها، ويرون أن هذا من مقتضيات أصل العدل عندهم الذي هو أهم صفة للفعل الإلهي، وهو رأس الفضائل جميعًا وأساسها.

والرماني يسير معهم في نفس الاتجاه ويقرر مثلهم نفس الرأي.

ثالثًا: الرماني يقول بالصلاح والأصلح ووجوبهما في أفعاله تعالى:

القول بالصلاح مرتبط لدى المعتزلة بباب العدل، والمعنى بالعدل عندهم: أن أفعال الله كلها حسنة، وأنه لا يفعل القبيح، ولا يخلق الشر، ولا يظلم، فلما كان ذلك كذلك وجب عليه فعل الصلاح والأصلح لعباده فلا يضل أحدا، ولا يؤاخذه بما فوق طاقته؛ لأن فعل ذلك قبيح عقلاً وهو منزه عن فعل القبيح(١).

فمجمل رأي المعتزلة في الصلاح والأصلح أن: (الحكيم لا يفعل فعلاً إلا لحكمة وغرض، والفعل من غير غرض سفه وعبث، والحكيم إما أن ينتفع أو ينفع غيره، ولما تقدس الله ـ تعالى ـ عن الانتفاع تعين أنه إنما يفعل لينفع غيره، ولما كانت إعمال الله معلله ويقصد منها إلى غاية وهي نفع العباد، فالله يقصد في أفعاله إلى ما فيه صلاح لعباده، ومن المعتزلة من قال بأنه يجب عليه أن يفعل ما هو صلاح لعباده، ومنهم من لم يكتف بذلك بل قال يجب عليه أن يفعل ما هو أصلح لهم، فكل عمل من أعمال الله ـ على رأيهم ـ لابد أن يقصد إلى خير العباد وصلاحهم، وجمهور المعتزلة يقولون أنه لابد أن يقصد ما هو الأصلح لهم)(٢).

ويبدو أن الرماني كان له اهتمام خاص بهذه المسألة بدليل أن المؤرخين لحياته يذكرون له عديدًا من المؤلفات حول مسألة الصلاح والأصلح، فيذكر ابن النديم والقفطي وغيرهما أن من مؤلفات الرماني:

ـ الأصلح الكبير.

---

(١) راجع القاضي عبدالجبار صـ٣٢ ـ صـ١٣٤، وفضل الاعتزال وطبقات المعتزلة صـ٣٤٨ ـ ٣٤٩.

(٢) أحمد أمين: ضحى الإسلام صـ٧٢١ ـ مؤسسة هنداوي بالقاهرة بدون تاريخ.

ـ الأصلح الصغير.

ـ تهذيب الأصلح.

ـ المسائل والجواب في الأصلح الواردة من مصر[1].

ولم يعثر على تلك الكتب ككثير من كتب الرماني، بيد أنه قد ذكر نصًا يخبرنا عن رأيه في تلك المسألة الاعتزالية المشهورة.

يقول الرماني في تفسير قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٤٣] (هل كل صفة لله ـ عزوجل ـ هي في أعلى مراتب الصفات؟ الجواب: نعم؛ لأنه قادر لا يعجزه شيء على جميع أجناس المعاني، لا أحد أقدر منه، ولا مساو له في مقدوره، عالم بكل شيء على التفصيل، لا يخفى عليه شيء مما كان وما لا يكون، وما أن لو كان كيف أن يكون، لا يفعل إلا الأصلح، ليس ما هو أصلح منه في شرف الفعل، وما تدعو إليه الحكمة) [2].

وواضح من هذا النص أن الرماني يقرر عقيدته الاعتزالية التي توجب على الله ـ تعالى ـ فعل الصلاح والأصلح لعباده.

وتلك عقيدة متفق عليها بين المعتزلة، ويصور الشهرستاني هذا الاتفاق فيقول: (واتفقوا ـ أي المعتزلة ـ على أن الله لا يفعل إلا الصلاح والخير، ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد)[3].

---

(١) راجع ابن النديم الفهرست صـ٨٨، والقفطي إنباه الرواة على أبناء النحاة جـ٢ صـ٢٩٦ .

(٢) الرماني: الجامع لعلم القرآن جـ١٢ صـ١٤١ نقلا عن د/ إبراهيم رفيدة ـ النحو وكتب التفسير جـ١ صـ٥٧٤ وصـ٥٧٥ الطبعة الثالثة سنة ١٩٩٠م.

(٣) الشهرستاني: الملل والنحل جـ١ صـ٤٥ بتحقيق محمد سيد كيلاني ـ دار المعرفة ـ بيروت سنة ١٤٠٤هـ، راجع المغني جـ١٤ حيث قسمه القاضي إلى ثلاثة عناوين رئيسة أولها الأصلح بتحقيق الأستاذ مصطفى السقا.

وهكذا يرى المعتزلة أن الله لا يفعل بعبده إلا ما هو مصلحة له ونفعًا، وهذا الفعل من الله هو الأصلح الذي لا أصلح منه وهذا من دواعي الحكمة التي يوصف الله ـ عز وجل ـ بها٠

والرماني من القائلين بهذا، المصرحين بوجوبه على الله عزوجل متماشيًا مع مذهبه ومتوافقًا مع معتقده٠

ولا ينبغي أن نترك هذه النقطة قبل أن نبين أن مسألة وجوب الصلاح والأصلح على الله ـ تعالى ـ في أفعاله مسألة مرفوضة لما فيها من تقييد مشيئته ـ سبحانه وتعالى ـ والتحكم في أفعاله٠

وهذا الرفض هو محل اتفاق بين متكلمي أهل السنة الذين قرروا أنه لا يجب على الله تعالى شيء البتة[1] ومن هذه الأشياء المنتفية الوجوب على الله تعالى مسألة الصلاح والأصلح٠

ويعبر حجة الإسلام عن معتقد أهل السنة في هذا فيقول: (ندعي أنه لا يجب عليه ـ تعالى ـ رعاية الأصلح لعباده، بل له أن يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد، خلافًا للمعتزلة، فإنهم حجروا على الله تعالى في أفعاله وأوجبوا عليه رعاية الأصلح)[2]٠

فمسألة الصلاح والأصلح التي ذهب إليها المعتزلة ومنهم الرماني فيها من الحجر على مشيئته ـ سبحانه وتعالى ـ، وتقييد لفعله، وهذا مخالف لما يجب أن يعتقده المسلم من وجوب الكمال المطلق لله ـ عز وجل ـ فهو يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يجب عليه شيء بوجه من الوجوه مطلقًا٠

---

(١) البزدوي: أصول الدين صـ١٣٠ وراجع: الخبازي: الهادي في أصول الدين صـ١٨٣ بتحقيق عادل بيك ـ طبعة استانبول سنة ٢٠٠٦م٠

(٢) الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد صـ١١٥ ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت، وراجع: اللامشي: التمهيد لقواعد التوحيد صـ١١٥ بتحقيق: عبدالمجيد التركي ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٥٥م ـ دار الغرب الإسلامي٠

الفصل الثالث
قضية إعجاز القرآن عند الرماني

الفصل الثالث

قضية إعجاز القرآن عند الرماني

لقد تنوعت المعجزات التي أيد الله ـ تعالى ـ بها نبينا محمدًا ـ ﷺ ـ، ولكن أعظمها وأبقاها هو القرآن الكريم الذي أنزله الله ـ تعالى ـ على نبينا ـ ﷺ ـ مؤيدا لنبوته ومصدقًا لرسالته، وكذلك متحديًا لأعدائه أن يأتوا بمثله أو بشيء منه، لكنهم عجزوا، وما زال العجز عن الإتيان بمثل القرآن أو ببعضه ملازمًا للإنس والجن على السواء.

ولم يلق كتاب دين عند أهله من العناية الفائقة والمبالغة في الاهتمام مثل ما لقي القرآن من المسلمين منذ نزوله إلى يوم الناس هذا.

ومن الجوانب التي تدل على اهتمام المسلمين البالغ بالقرآن الكريم تناولهم لقضية إعجاز القرآن الكريم، حيث حظيت هذه القضية بأهمية كبيرة لدى علماء المسلمين على اختلاف مذاهبهم، وتنوع مشاربهم بعناية كبيرة، وشغلت مساحة واسعة من بحوثهم حول القرآن الكريم، وما زال القرآن الكريم يكشف لنا كل يوم عن نواح من إعجازه كانت خافية على الناس قبل ذلك، فهو بحق لا تنقضي عجائبه.

ومن العلماء الذين تناولوا قضية إعجاز القرآن وأدلوا فيها بدلوهم الرماني الذي ألف في إعجاز القرآن رسالته المسماه «النكت في إعجاز القرآن» والتي أصبحت مرجعًا لكل من يتناول تلك القضية حتى من أهل السنة أنفسهم؛ فقل أن نجد متناولاً لقضية إعجاز القرآن من لاحقي الرماني إلا وذكر تلك الرسالة وما فيها من آراء معتبرة.

ويمكننا أن نتناول تلك القضية عند الرماني في نقاط محددة كما يلي:

أولاً: يتفق الرماني مع إجماع المسلمين على إعجاز القرآن:

فقد اتفق المسلمون على أن القرآن معجز تحدى النبي ﷺ الناس به فعجزوا عن الإتيان بمثله، وهذا محل إجماع من المسلمين، بل لقد ذهب ابن حزم إلى أبعد من ذلك فذكر أن الكفار أيضًا مقرون بذلك.

يقول ابن حزم: (قام البرهان على أن القرآن معجز قد أعجز الله عن مثل نظمه جميع العرب وغيرهم من الإنس والجن بتعجيز رسول الله ـ ﷺ ـ كل من ذكرنا عن أن يأتوا بمثله، وتبكيتهم بذلك في محافلهم، وهذا أمر لا ينكره أحد مؤمن ولا كافر، وأجمع المسلمون على ذلك)[1].

والرماني هنا قد توافق مع هذا الإجماع: حيث عنون لرسالته التي ألفها لغرض بيان الإعجاز بهذا العنوان «النكت في إعجاز القرآن» كأن إعجاز القرآن قضية مسلمة لا تحتاج إلى إثبات ولا بيان، وإنما الذي يحتاج إلى بيان هو وجه هذا الإعجاز، لا الإعجاز ذاته الذي هو محل إجماع واتفاق.

وكذلك يعبر عن هذا المعنى في مفتتح رسالة "النكت" فيقول: (سألتَ ـ وفقك الله ـ عن ذكر النكت في إعجاز القرآن دون التطويل بالحجاج، وأنا أجتهد في بلوغ محبتك، والله الموفق للصواب)[2] فهو هنا يقرر إعجاز القرآن متوافقًا مع إجماع المسلمين.

ثانيًا: الرماني يذهب إلى أن وجه إعجاز القرآن ليس واحدًا بل متعدد:

والرماني في هذه النقطة يتوافق مع جماهير العلماء الباحثين في قضية إعجاز القرآن الذين ذهبوا إلى أن أوجه إعجاز القرآن كثيرة، لا تقتصر على نواح معينة، بل

(١) ابن حزم: الفصل في الملل والنحل جـ٣ صـ١٠ مكتبة الخانجي ـ بدون تاريخ.
(٢) الرماني: النكت في إعجاز القرآن صـ٧٥ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

متعددة ومتنوعة فمنهم من عدها عشرين وجهًا[١]، ومنهم من عدها ثمانين وجها، ومنهم من رأى أن أوجه إعجاز القرآن غير منحصرة.

يقول السيوطي: (وقد أفرد علماؤنا ـ رضي الله عنهم ـ بتصنيف إعجاز القرآن، وخاضوا في وجوه إعجازه كثيرًا، منهم الخطابي، والرماني، والزملكاني، والإمام الرازي، وابن سراقة، والقاضي أبوبكر الباقلاني، وأنهى بعضهم وجوه إعجازه إلى ثمانين، والصواب أنه لا نهاية لوجوه إعجازه)[٢].

وعندما تناول الرماني مسألة إعجاز القرآن لم يقتصر على وجه واحد من وجوه الإعجاز، بل عدد تلك الأوجه وأوصلها إلى سبعة، فيقول: (وجوه إعجاز القرآن تظهر من سبع جهات: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصَّرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة)[٣].

والواقع أن هذه الأوجه التي ذكرها الرماني هي من أشهر أوجه إعجاز القرآن التي اتفق على ذكرها العلماء في مسألة الإعجاز قبل الرماني وبعده من فرقته ومن غيرهم.

فالمعتزلة المتقدمون على الرماني وكذلك المتأخرون عنه ذكروا شيئًا من هذه الوجوه، كالإعجاز البلاغي واللغوي، وكالأخبار عن الغيوب، وكالصرفة والمنع من الله لهم أن يأتوا بمثله[٤].

---

(١) راجع: الماوردي: أعلام النبوة صـ٧٤ ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩هـ ـ دار الهلال ـ بيروت.

(٢) السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن جـ١ صـ٥ ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٣) الرماني: النكت صـ٧٥ .

(٤) راجع على سبيل المثال: القاضي عبدالجبار: المغني جـ١٤ صـ٢٢٨، وشرح الأصول الخمسة صـ٥٨٦، والزمخشري: المنهاج في أصول الدين صـ٢٢، والأشعري: مقالات الإسلاميين جـ٢ صـ١٧٩، وأبوريدة: النظام صـ٣٤ .

هذا عن المعتزلة، وأما عن أهل السنة فقد وفقهم الله توفيقًا كبيرًا في تناول قضية إعجاز القرآن، وفي تعديد أوجه إعجازه(١).

وقد جاء رأي الرماني في تنوع وتعدد أوجه الإعجاز في القرآن متوافقًا مع رأي جماهير المسلمين الذين قرروا ذلك وعددوا أوجه الإعجاز كما فعل الرماني.

ثالثًا: الرماني يركز على الإعجاز البلاغي في القرآن ويهتم به أكثر من غيره:

على الرغم من أن الرماني عدد وجوه الإعجاز في القرآن وذكر أنها سبعة كما مر، إلا أننا لاحظنا أن الجانب البلاغي قد استحوذ على معظم جهود الرماني في مسألة الإعجاز كمًا وكيفًا.

ففي جانب الكم: وجدنا أن الرسالة التي حوت قضية الإعجاز عند الرماني قد جاءت فيما يقرب من أربعين صفحة، منها ثلاث وثلاثون صفحة تتحدث عن الإعجاز البلاغي فقط، وست صفحات تتحدث عن الأوجه الستة الأخرى.

وفي جانب الكيف: وجدنا الرماني يتناول الإعجاز البلاغي في القرآن بتفصيل وإسهاب، فيعدد أوجه البلاغة ثم يعرف كل وجه، ويشقق الكلام حوله، ويحاول أن يطبقه على نصوص القرآن، ويستكثر من الاستشهاد عليه بالآيات الكثيرة، بل يقارن بين بلاغة القرآن وغيرها من بلاغة البلغاء، حتى يثبت أن بلاغة القرآن لا تدانيها بلاغة مهما سمت طبقتها أو علت درجتها، وهذا يدل على أن إعجاز القرآن البلاغي كان له عند الرماني مكانة خاصة.

وهذا في الحقيقة أمر مستساغ، ولا غرابة فيه، ذلك أن الرماني كان من فحول اللغويين في عصره، بل امتد تأثيره في العصور اللاحقة، بحيث يعز أن نجد عالمًا

(١) انظر الماتريدي: كتاب التوحيد صـ٢٠٤ ، وراجع الباقلاني: إعجاز القرآن صـ٤٨ بتحقيق السيد أحمد صقر ـ الطبعة السابعة سنة ٢٠٠٩م ـ دار المعارف ـ القاهرة، والجويني: الإرشاد صـ١٤١، والقاضي عياض: الشفا جـ١ صـ١٧٤ .

في تخصص اللغة، أو في أي تخصص آخر وتناول الجانب اللغوي، إلا وكانت آراء الرماني اللغوية من مراجعه ومصادره الأساسية.

فإذن قد استغل الرماني إمكاناته اللغوية، وسخر قدراته البلاغية في بيان قضية إعجاز القرآن.

رابعًا: موقف الرماني من القول بالصَّرفة:

لقد اتضح لنا مما سبق أن الرماني لا يقول بوجه واحد في إعجاز القرآن، بل يعدد الأوجه ويوصلها إلى سبعة، ومع أن أهم أوجه الإعجاز القرآني في نظر الرماني هو الإعجاز البلاغي ـ كما مر ـ إلا أنه في ذات الوقت يذهب إلى أن الصرفة وجه من أوجه الإعجاز في القرآن.

والرماني لا يذكر الصرفة على سبيل الحكاية، أي أنه لا يحكي أن الصرفة وجه من الوجوه التي تحكي عن السابقين فحسب، بل يتبنى القول بالصرفة، ويقول به كوجه معتمد من أوجه الإعجاز القرآني.

والدليل على أن الرماني يعتقد أن الصرفة وجه صحيح من وجوه إعجاز القرآن ما يلي:

أ – أنه يعدها من الوجوه التي يذهب إليها هو في إعجاز القرآن، بل يقدمها على غيرها في السرد والعد، فيقول: (وجوه القرآن تظهر من سبع جهات: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصَّرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة) [1].

فهذه هي الوجوه عند الرماني، ومنها وجه الصرفة الذي جاء في المرتبة الثالثة من بين هذه الجهات السبعة.

(١) الرماني: النكت صـ٧٥، وصـ١٠٩ .

ب – أنه يهتم بتعريف الصرفة، ويقرر أن القائلين بها من أهل العلم فيقول: (وأما الصرفة فهي صرف الهمم عن المعارضة، وعلى ذلك كان يعتمد بعض أهل العلم في أن القرآن معجز من جهة صرف الهمم)[١].

فالقول بالصرفة منسوب إلى أهل العلم المقبولين عند الرماني، فهو وجه مقبول عنده.

جـ – أن الرماني يسوِّي بين القول بالصرفة وبين سائر المعجزات الدالة على النبوة فيقول: (وذلك ـ أي صرف الهمم عن المعارضة ـ خارج عن العادة كخروج سائر المعجزات التي دلت على النبوة)[٢].

د – ثم يصرح الرماني أن القول بالصرفة وجه معتمد ليس عنده فقط، عند كل عاقل، فيقول: (وهذا ـ أي الصَّرفة ـ عندنا أحد وجوه الإعجاز التي يظهر منها للعقول) [٣].

فالرماني ـ إذن ـ من القائلين بالصرفة المعتقدين لكونه وجهًا معتمدًا في إعجاز القرآن.

ولكن ألا يُعد هذا تناقضًا؟

فالذي يقرر أن القرآن في أعلى طبقات البلاغة، كان لزامًا عليه أن يقرر عجز العرب البلغاء ـ رغم وجود دواعيهم ومحاولة بعضهم ـ عن الوصول إلى هذه الطبقة العالية والدرجة السامية من البلاغة التي عليها القرآن.

أما أن يقرر أن الصرفة وجه معتبر من وجوه الإعجاز فهذا تناقض؛ لأن الصرفة تحمل في طياتها أن القرآن مقدور للناس، لولا أن الله صرفهم عنه، ومنعهم عن الإتيان بمثله، وهذا يدل على أنه ليس في أعلى طبقة من البلاغة.

---

(١) الرماني: النكت صـ١١٠ .
(٢) الرماني: النكت صـ١١٠ .
(٣) نفسه صـ١١٠ .

والواقع أنه يمكنني أن التمس تعليلاً لهذا التناقض الذي وقع فيه الرماني، وهو ولاؤه لمذهبه الاعتزالي، أو بالأدق لبعض شيوخ المعتزلة المتقدمين.

فالرماني من ناحية لغوي ماهر، وبلاغي معدود، ومن كان كذلك لا يخطئ أبدًا ما عليه القرآن في نظمه من درجة عالية في الفصاحة والبلاغة؛ لذلك اهتم الرماني بالجانب البلاغي الذي هو تخصصه الذي برع فيه.

ولكنه من ناحية أخرى معتزلي من أعيان المذهب في عصره وطبقته، ومن هنا لا جرم أن يذهب مع الذاهبين من شيوخ مذهبه إلى القول بالصرفة وفاءً لمذهبه وولاءً لمشايخه.

وذلك لأن القول بالصرفة في أصله نشأ معتزليًا على لسان بعض المتقدمين منهم، وخاصة إبراهيم بن سيار النظام (ت٢٣١هـ)، وهذه حقيقة أجمع عليها من تعرض لبحث قضية القول بالصرفة في إعجاز القرآن، كما أجمعوا على أن النظام استقاها من مصدر خارجي عن الإسلام.

يصور القاضي الإيجي رأي النظام في إعجاز القرآن بأنه يعتقد أن الله (صرف العرب عن الاهتمام بمعارضة القرآن حتى لو خلاهم لأمكنهم الإتيان بمثله، بل بأفصح منه) [(١)]، وهذا الصرف من الله للعرب له معان كثيرة[(٢)].

إذن: النظام هو الذي ابتدأ القول بالصرفة بعد أن كان المسلمون يعتقدون اعتقادًا صحيحًا في القرآن بأنه معجزة في ذاته ومن ذاته، لا من أمر خارج عنه.

ولكن من أين جاء النظام بهذه الفكرة المبتدعة التي لم يتقدمه أحد من المسلمين قال بها؟

---

(١) الإيجي: المواقف في علم الكلام جـ٣ صـ٦٦٣ بتحقيق د/ عبدالرحمن عميرة ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م ـ دار الجيل ـ بيروت.

(٢) راجع العلوي: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز جـ٣ صـ٢١٨ الطبعة الأولى سنة ١٤٢٣هـ ـ المكتبة العصرية ـ بيروت، وراجع التفتازاني: شرح المقاصد في علم الكلام جـ٢ صـ١٨٤.

لقد اتفقت كلمة المؤرخين للنظام على أنه كان قد خالط قومًا من الملاحدة ومنكري النبوات وتأثر بهم، لكنه لم يجرؤ على إظهار إنكار النبوة فأنكر إعجاز القرآن في بلاغته ونظمه٠

يقول البغدادي: (وكان ـ أي النظام ـ في أيام شبابه قد عاشر قومًا من الثنوية والسمنية، وخالط بعد كبره قومًا من ملاحدة الفلاسفة، وأعجب بقول البراهمة بإبطال النبوات، ولم يجسر على إظهار هذا القول خوفًا من السيف، فأنكر إعجاز القرآن في نظمه، وأنكر ما روي في معجزات نبينا ﷺ)[١]٠

ويقول أستاذنا الدكتور عبدالله الشاذلي: (وإذا كان جمهور المسلمين أيقن بإعجاز القرآن لذاته؛ فإن اسم الصرفة قد ارتبط بداية بأبي إسحاق إبراهيم بن سيار النظام (ت٢٣١هـ) [٢]٠

ثم يبين لنا مصدر هذا القول الغريب، وأنه دخل إلى البيئة الإسلامية بتأثير من فلسفات الهند والفرس واليونان[٣]٠

فبعض مشايخ المعتزلة ـ وهو النظام ـ هو الذي أحدث هذه البدعة وراجت عند البعض، فإذا جاء الرماني بعد ذلك وتبنى فكرة القول بالصرفة كأحد الوجوه المعتمدة في إعجاز القرآن، صح عليه حكمنا أنه لجأ إلى هذه الفكرة وفاءً منه وتقديرًا لمشايخه في الاعتزال٠

ولكن الإنصاف يقتضينا أن ننبه في عجالة على أن مذهب الصرفة ليس مذهب كل المعتزلة، بل كثير منهم رفضه بشدة وردوا عليه وكان من أول الرافضين له تلميذ النظام ذاته وهو الجاحظ، الذي ذهب إلى القول بالصرفة في أول أمره متأثرًا

(١) البغدادي: الفرق بين الفرق صـ١١٣ ـ ١١٤ ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧م ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت٠
(٢) د/ الشاذلي: لوامع اليقين جـ٣ صـ٣٥٠ ٠
(٣) نفس المصدر جـ٣ صـ٣٥٠ ٠

بشيخه النظام، ولكنه لما بان له بطلان هذه الفكرة رجع إلى ما عليه المسلمون من الإعجاز الذاتي للقرآن، وألف في ذلك كتابه "نظم القرآن"[(١)].

وجاء بعد ذلك من مشاهير المعتزلة من رفض هذه الفكر تمامًا مثل القاضي عبدالجبار الذي خصص جزءً من أكبر أجزاء المغنى حول إعجاز القرآن وهو الجزء السادس عشر الذي جاء بعنوان إعجاز القرآن، وكذلك تناول إعجاز القرآن في "شرح الأصول الخمسة" في صفحات كثيرة وقرر أن وجه الإعجاز هو تحدي العرب بمعارضته وعجزهم عن الإتيان بمثله[(٢)].

ومن المعتزلة الرافضين لفكرة الصرفة الزمخشري الذي قرر أن إعجاز القرآن يظهر من وجهين: (إعجاز نظمه أهل الفصاحة، وما فيه من الإخبار بالغيوب)[(٣)].

ثم رد على فكرة الصرفة مجيبًا على سؤال فقال: (فإن قلت: ما تقول في الصرفة؟ قلت: لو صحت لوقع التحدي بكلام نازل عما يقدرون عليه بدرجات، حتى يكون صرفهم عن أن يأتوا بمثل ذلك النازل بعد اقتدارهم على الكلام العالي الطبقة معجزة لرسول الله ـ ﷺ ـ، فحين لم يؤت به إلا في أعلى طبقات الفصاحة علم أن عجزهم لم يكن للصرف)[(٤)].

وهكذا: نشأت فكرة الصرفة اعتزالية متأثرة بمؤثرات خارجية عن الإسلام، لكنه لم يتبناها كل المعتزلة بل قلة منهم وكان من هذه القلة الرماني.

سادسًا: أوجه الإعجاز الأخرى عند الرماني:

وبعد أن بينا وجهة نظر الرماني في الإعجاز البلاغي للقرآن والذي طوّل النفس فيه بحيث جعل كتابه في الإعجاز إلا قليلاً يدور حول فكرة الإعجاز البلاغي، وبينا

(١) راجع: عبدالكريم الخطيب: الإعجاز في دراسات السابقين صـ١٦٤ ـ دار الفكر العربي سنة ١٩٧٤م، وقارن: أبوزهرة: المعجزة الكبرى صـ٦٠ .
وراجع: د/أحمد سيد عمار: نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم صـ٦٣ .
(٢) شرح الأصول الخمسة صـ٥٨٦ .
(٣) الزمخشري: المنهاج في أصول الدين صـ٢٢ .
(٤) نفس المصدر صـ٢٣ .

موقفه من القول بالصرفة، نأتي الآن إلى باقي الوجوه التي عدها الرماني بعد البلاغة والصرفة وهي:

١ - ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة:

ويشرح الرماني هذا الوجه بما يفيد أن العرب لما جوبهوا بالقرآن، كانت دواعيهم إلى المعارضة متوفرة، وحاجتهم إلى مواجهة القرآن شديدة، لكنهم لما تركوا معارضته دل هذا الترك على عجزهم عن معارضته، فثبت إعجاز القرآن.

يقول الرماني شارحًا وممثلاً للتوضيح: (أما توفر الدواعي فيوجب الفعل مع الإمكان لا محالة، في واحد كان أو جماعة، والدليل على ذلك: أن إنسانًا لو توفرت دواعيه إلى شرب ماء بحضرته من جهة عطشه واستحسانه لشربه، وكل داع يدعو إلى مثله، وهو مع ذلك ممكن له، فلا يجوز ألا يقع شربه منه حتى يموت عطشًا؛ لتوفر الدواعي؛ فإن لم يشربه مع توفر الدواعي له، دل ذلك على عجزه عنه، فكذلك توفر الدواعي إلى المعارضة على القرآن لما لم تقع المعارضة دل على العجز عنها)[١].

والحقيقة أن هذا المثال الذي ساقه الرماني فيه من التأكيد على أن العرب تركوا معارضة القرآن ما فيه، وذلك أن القرآن سفه أحلامهم، وأبطل أفكارهم، فكانوا أشد حاجةً للمعارضة من حاجة الظمآن إلى الماء، فلما لم يعارضوا دل على عجزهم وعلى إعجاز القرآن.

وفي هذا يقول القاضي عبدالجبار: (وأما ترك العرب معارضة القرآن، وعدولهم عنه إلى المقاتلة فظاهر، فإنهم حين أحسوا من أنفسهم العجز عن الإتيان بمثل القرآن، تركوه إلى المقاتلة، وذلك يؤذن بعجزهم عن ذلك، وإلا فالعاقل إذ أمكنه دفع خصمه بأيسر الأمرين لا يعدل عنه إلى أصعبهما) [٢].

---

(١) الرماني: النكت صـ١٠٩ .

(٢) القاضي عبدالجبار: شرح الأصول الخمسة صـ٥٨٨ .

وبالفعل أيهما أصعب: الإتيان بمثل القرآن مع فرض قدرتهم عليه، أم اللجوء إلى الحرب والقتال وبذل الأموال والأنفس؟!

إذن: الله ـ تعالى ـ أظهر القرآن على يد النبي ـ ﷺ ـ وطلب منهم معارضته، فلم يعارضوا مع توفر دواعيهم وأسبابهم، فكان ترك المعارضة وجها من وجوه إعجاز القرآن التي اتفق عليها المسلمون ومنهم الرماني.

٢ - التحدي للكافة:

وهذا الوجه من الإعجاز مرتبط بما قبله مباشرة؛ لأنه يدل على أن تعذر المعارضة من العرب جاءت بعد التحدي، أي أن النبي ﷺ تحداهم بمعنى أنه طلب منهم أن يأتوا بمثل القرآن أو بمثل بعضه، لكنهم لم يستطيعوا، فثبت بذلك أنه تحداهم، وأنهم لم يستطيعوا المعارضة.

يقول الرماني عن هذا الوجه من إعجاز القرآن: (وأما التحدي للكافة، فهو أظهر في أنهم لا يجوز أن يتركوا المعارضة مع توفر الدواعي إلا للعجز عنها)[1].

ثم يبين الرماني مراحل ذلك التحدي ونتيجته فيقول: (وقد عم التحدي به ـ أي القرآن ـ للجميع لرفع الأشكال، وجاء على جهة الإخبار بأنه لا تقع المعارضة لأجل الإعجاز، فقال ـ عزوجل ـ: ﴿ **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٣] ثم قال: ﴿ **فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا** ﴾ [البقرة: ٢٤] فقطع بأنهم لن يفعلوا، وقال تعالى: ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾ [الإسراء: ٨٨] وقال: ﴿ **فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ** ﴾ [الطور: ٣٤] ولما تعللوا بالعلم والمعاني التي فيه قال: ﴿ **فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ** ﴾ [هود:

(١) الرماني: النكت صـ١١٠ .

١٣] فقد قامت الحجة على العربي والعجمي بعجز الجميع عن المعارضة؛ إذ بذلك تبين المعجزة)[١].

فالرماني هنا يذكر أن القرآن تحداهم على مراحل، وأن هذا التحدي كان للكافة وللجميع، وأن النتيجة هي عجزهم عن المعارضة بعد التحدي.

٣ - الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة:

يورد الرماني هذا الوجه، ويؤكد على كونه معجزًا لكونه من عند الله لا واقع بالاتفاق والمصادقة، ويذكر على ذلك أمثلة كثيرة من الغيوب المستقبلة التي ذكرها القرآن الكريم.

يقول الرماني: (وأما الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة؛ فإنه لما كان لا يجوز أن تقع على الاتفاق دل على أنها من عند علام الغيوب)[٢].

ثم يورد الرماني أمثلة على ذلك، وهي الأمثلة الشائعة في كتب المتكلمين للاستدلال على الغيوب التي ستقع مستقبلاً.

يقول الرماني: (فمن ذلك قوله عزوجل: ﴿ **وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ** ﴾ [الأنفال: ٧] فكان الأمر كما وعد من الظفر بإحدى الطائفتين: العير التي كان فيها أبوسفيان، أو الجيش الذين خرجوا يحمونها من قريش، فأظفرهم الله عزوجل بقريش يوم بدر على ما تقدم به الوعد) [٣].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ** ﴾ [الروم: ١] ومنه قوله تعالى: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ**

(١) النكت صـ٩٦ ـ ٩٧ .

(٢) الرماني: النكت صـ١١٠ .

(٣) الرماني:النكت صـ١١٠،وراجع تفسير البغوي جـ٣صـ٣٣٠، ومفاتيح الغيب جـ١٥صـ٤٥٧ .

﴿ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف: ٩] ومنه قوله تعالى: ﴿ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ [البقرة: ٩٤]، ومنه قوله تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ [القمر: ٤٥]، ومنه: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ ﴾ [الفتح: ٢٧]، ومنه: ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ ﴾ [الفتح: ٢٠]، ثم قال:﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ ﴾ [الفتح: ٢١] [(١)].

والواقع أن هذا الوجه المتعلق بالإخبار عن الغيب كوجه من أوجه إعجاز القرآن لهو وجه متفق عليه بين جميع المتكلمين، والباحثين في إعجاز القرآن الكريم، حتى أولئك الذين ذهبوا إلى أن القرآن معجز بالصرفة والمنع عن الإتيان بمثله قرروا مع ذلك وجه الإعجاز الغيبي.

فالنظام كما يحكي رأيه الإمام الأشعري يرى أن (الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب، أما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم)[(٢)].

والزمخشري أيضًا ـ وهو من هو في اعتداده بنظم القرآن وفصاحته وسمو درجته في البلاغة ـ يضم إلى الفصاحة والبلاغة القرآنية وجهًا إعجازيًا آخر وهو الإخبار عن الغيوب فيقول: (والقرآن معجز من وجهين: إعجاز نظمه أهل الفصاحة، وما فيه من الإخبار بالغيوب، كقوله: ﴿ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ﴾ [البقرة: ٢٤] وقوله:

(١) الرماني: النكت صـ١١٠ ـ ١١١ .
(٢) مقالات الإسلاميين جـ٢ صـ٢٢٦ .

﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ ﴾ [القمر: ٤٥]، وقوله: ﴿ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [الصف: ٩]، وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾ [المائدة: ٦٧])[١].

وعلى الرغم من اتفاق الرماني مع جماهير العلماء في هذا الوجه إلا أننا لاحظنا أن هناك فرقًا بين الرماني وبين أهل السنة في هذا الوجه وهذا الفرق هو أن الرماني حصر الإعجاز الغيبي للقرآن في الغيب المستقبلي فقط ولم يذكر الغيوب الماضية ولو بكلمة.

فهو يعنون لهذا الوجه بقوله (الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة) [٢] فهو ينص أن الإعجاز المتعلق بالغيب منحصر في الغيوب المستقبلية فقط، ثم إنه عند ذكر أمثلة من آيات القرآن حصرها أيضًا في الغيب الذي لما يقع في عهد نزول القرآن ولكنه وقع بعد ذلك في قابل الأيام.

والحقيقة أن الرماني قد جانبه الصواب في هذا الحصر؛ لأن الإخبار عن الغيوب الماضية له مدخل في إثبات إعجاز القرآن كالإخبار عن الغيوب المستقبلية تمامًا، فقد أجمع العلماء على أن الغيب ينقسم إلى قسمين: ماض ومستقبل، وكلاهما معجز لأن النبي كان لا يعلمه.

فالذين يذكرون أن من إعجاز القرآن الإخبار عن الغيوب الآتية، يقررون أيضًا بها أن من أوجه الإعجاز الإخبار عن الغيوب الماضية.

فمن أوجه الإعجاز عند إمام الحرمين: (الأنباء عن قصص الأولين على حسب ما أُلقي في كتب الله تعالى المنزلة) [٣].

---

(١) الزمخشري: المنهاج في أصول الدين صـ٢٢ .
(٢) النكت في إعجاز القرآن صـ١١٠ .
(٣) الجويني: الإرشاد صـ١٤٢ .

وكذلك الآمدي يذكر أن من أوجه الإعجاز في القرآن: (الإخبار عن قصص الماضين، وسير الأولين على نحو ما وردت به الكتب السالفة والتواريخ الماضية)[١].

وكذلك فعل الإيجي والتفتازاني والسيوطي وغيرهم[٢].

وبالطبع هم ينبهون في هذا الصدد على أن وجه الإعجاز الذي ينطوي عليه الإخبار بالغيب الماضي هو أن النبي ـ ﷺ ـ لم يكن يعلم هذه الأخبار والقصص؛ ذلك لأنه كان أميًا، ولم يؤثر عنه تعلم التاريخ، ولم يؤثر عنه الرحلة لطلب تعلم مثل هذه الأمور، من أجل ذلك كان إخبار القرآن على لسان النبي ـ ﷺ ـ بالأحداث الماضية وجهًا من إعجاز القرآن.

يشير الجويني إلى هذه الفكرة، وهي أن النبي ﷺ لم يكن متعلمًا لتلك الأمور الماضية فيقول: (ولم يكن رسول الله ـ ﷺ ـ ممن عانى تعلمًا، أو تلقف كتابًا، وكان ينشأ بين ظهراني العرب، ولم تعهد له خرجات يتوقع فيها تلقف علم ودراسة كتاب، وكان في ذلك أصدق آية على صدقه) [٣].

ويشير الآمدي أيضًا إلى ذلك فيقول: (وقد عرف من حال النبيﷺ الأمية وعدم الاشتغال بالعلوم والدراسة، وعدم معاشرة أهل الكتاب وأرباب العلم) [٤].

وهكذا يعد الإنباء عن الغيب وجهًا من وجوه إعجاز القرآن الكريم، ولكن الرماني قد ذكر جانبًا واحدًا من جانب الغيب، وهو الغيب المستقبلي، وهو في ذلك متفق مع جماهير العلماء، لكنه جانبه الصواب حين لم يذكر الغيب الماضي الذي هو أيضًا من وجوه الإعجاز المعتمدة كما قرر ذلك متكلمو أهل السنة.

---

(١) الآمدي: أبكار الأفكار جـ٤ صـ٧٢ .

(٢) راجع الإيجي: المواقف وشرحها للجرجاني جـ٨ صـ٢٤٤ ، والتفتازاني: شرح المقاصد جـ٢ صـ١٨٧ .

(٣) الإرشاد: صـ١٤٢، وراجع الباقلاني: إعجاز القرآن صـ٣٤ .

(٤) إبكار الأفكار جـ٤ صـ٧٣ .

٤ – نقض العادة:

يقول الرماني في بيان هذا الوجه من الإعجاز: (وأما نقض العادة، فإن العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة، منها الشعر، ومنها السجع، ومنها الخطب، ومنها الرسائل، ومنها المنثور الذي يدور بين الناس في الحديث، فأتى القرآن بطريقة مفردة، خارجة عن العادة لها منزلة في الحسن تفوق به كل طريقة، ولولا أن الوزن يحسِّن الشعر، لنقصت منزلته في الحسن نقصانًا عظيمًا؛ ولذلك من جاء بغير الوزن المعروف في الطباع الذي من شأنه أن يحسن الكلام بما يفوق الموزون فهو معجز) [١].

والرماني يقصد هنا أن القرآن رغم أنه من جنس كلام العرب إلا أنه خارج عما اعتادوه في لغتهم، ناقض لما تعارفوا عليه في كلامهم، فلا هو من الشعر، ولا هو من السجع، ولا هو مخصوص بأوزان معينة كالتي يخص بها الشعر حتى يكون حسنًا عند سماعه، بل إن أوجه الحسن جميعها موجودة فيه من دون تلك المحسنات المعتادة التي يعرفها العرب، وهذا هو وجه من وجوه إعجازه.

والحقيقة أن الرماني محق كل الحق في أن القرآن نقض عادة العرب في معهود كلامهم ومتعارف خطابهم؛ وذلك لأن نقض العادة شرط أساسي لكل معجزة، فضلاً عن أن تكون أكبر معجزة وأبقاها على مر الزمان.

فقد اشترط العلماء كلهم في الشيء الذي يكون معجزًا ـ سواء قولاً أو فعلاً ـ أن يكون ناقضًا للعادة خارقًا لها، ولو لم يكن على تلك الصفة لما كان معجزًا.

فالمعتزلة يقررون أن من شروط الشيء الذي يصدق عليه أنه معجزة: (أن يكون ناقضًا لعادة من بين ظهرانيه، لأنه لو لم يكن كذلك، لم يكن ليدل على صدق من ظهر عليه أصلاً، ألا ترى أن أحدنا إذا ادعى النبوة، وجعل معجزته طلوع الشمس من مشرقها وغروبها في مغربها، لم تصح له دعواه، ولم يدل ذلك على

---

(١) النكت صـ١١١ .

صدقه، وبالعكس من ذلك، فلو ادعى النبوة، وجعل معجزته طلوع الشمس من المغرب، وغروبها في المشرق، فإنه يدل على صدقه، لما انتقض في أحدهما ولم تنتقض في الآخر) [١].

وأهل السنة جميعهم شرطوا هذا الشرط في المعجزة، فأكدوا أن من شروطها (أن يكون خارقًا للعادة، فإنه إذا كان معتادًا يصدر من الصادق والكاذب، لم يعتبر اختصاصه بالنبي وتميزه عن غيره) [٢].

هذا في المعجزات عمومًا، وأما فيما يخص إعجاز القرآن فقد وجدناه حقًا ينطبق عليه هذا الشرط، وهو نقضه لعادة العرب في كل ما اعتادوه من القول، وألفوه من الكلام، سواء في المفردات أو التراكيب، أو النظم والأساليب، أو القصص والأخبار عن الغيب، إلى آخر ما في القرآن من أوجه إعجاز خرجت به عن عادة العرب.

يقول عبدالقاهر الجرجاني: (إن الشرط في المزية الناقضة للعادة أن يبلغ الأمر فيها إلى حيث يبهر ويقهر، حتى تنقطع الأطماع عن المعارضة، وتخرس الألسنة عن دعوى المداناة، وحتى لا تحدث نفس صاحبها بأن يتحدى، ولا يجول في خلد أن الإتيان بمثله ممكن، وحتى يكون يأسهم منه، وإحساسهم بالعجز عنه في بعضه مثل ذلك في كله)[٣].

وهذا هو ما حدث للعرب فعلاً عند سماع القرآن، فقد أعجبوا به بل وانبهروا، بل كان منهم من يستطيب سماعه ـ وهو على كفره ـ حتى تواصوا فيما بينهم ألا يسمعوه، وأن يلغوا فيه عند سماعه[٤].

يقول الشيخ أبوزهرة: إن العرب عجزوا أن يأتوا بمثل القرآن: (وقارن عجزهم هذا إعجابهم بعلوه عن أن يصل إليه أحد من البشر، ولم يحاول أحد من عقلاء

(١) شرح الأصول الخمسة صـ٥٧١، وراجع: المغني جـ١٦ صت٣١١ .
(٢) الجويني: العقيدة النظامية صـ٦٥ .
(٣) الجرجاني: الرسالة الشافية صـ ١٢٩ .
(٤) أبوزهرة: المعجزة الكبرى صـ٥٦ .

المشركين أن يَسِفَّ فيحاول المحاكاة، ولقد سببوا عجزهم هذا بأنه يعلو ولا يعلى عليه، وأن له حلاوة، وعليه طلاوة، وأن أعلاه مثمر، وأسفله مغدق) [١].

ويتحدث حجة الإسلام عن إعجاز القرآن وخروجه عن عادة كلام العرب فيقول: (إن إعجاز القرآن هو: الجزالة والفصاحة مع النظم العجيب والمنهاج الخارج عن مناهج كلام العرب في خطبهم وأشعارهم، وسائر صنوف كلامهم، والجمع بين هذا النظم وهذه الجزالة معجز خارج عن مقدور البشر) [٢].

وهكذا كان نقض العادة وجهًا من وجوه إعجاز القرآن الكريم عند الرماني، وهو فيه محق موافق لما عليه جماهير العلماء.

٥ - قياسه بكل معجزة:

يقول الرماني مبينًا هذا الوجه من الإعجاز: (وأما قياسه بكل معجزة فإنه يظهر إعجازه من هذه الجهة، إذ كان سبيل فلق البحر، وقلب العصا حية، وما جرى هذا المجرى في ذلك سبيلاً واحدًا في الإعجاز، إذ خرج عن العادة وقعد الخلق فيه عن المعارضة) [٣].

وفي هذا الوجه يستخدم الرماني القياس، فيقيس القرآن على كل المعجزات الأخرى سواء لنبينا ـ ﷺ ـ أو لغيره من الأنبياء السابقين ـ عليهم السلام ـ وقد مثل الرماني هنا بمعجزتين للنبي موسى ـ عليه السلام ـ وهما:

ـ انفلاق البحر.

---

(١) نفس المرجع صـ٥٦.

(٢) الإمام الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد صـ١٢٩ ـ ١٣٠ ـ الطبعة الأولى ١٩٨٨م ـ دار الكتب العلمية.

(٣) ذكر الله تعالى هاتين المعجزتين العظيمتين لكليم الله موسى في قوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٦٣] وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ ﴾ [القصص: ٣١] وغيرهما من المواضع.

ـ وقلب العصا حية[1].

والعلة الجامعة التي صححت قياس القرآن على غيره من المعجزات يذكرها الرماني في شيئين هما:

ـ الخروج عن العادة.

ـ وقعود الخلق عن المعارضة.

وهذان الأمران بالفعل متوافران في القرآن كما هما متوفران في غيره من المعجزات؛ ولذلك صح القياس هنا.

وكلا الأمرين قد ذكرهما الرماني باعتبار كل واحد منهما وجهًا مستقلاً من وجوه الإعجاز، وهما ما ذكرناهما عن الرماني منذ قليل في النقطتين رقم (١) بعنوان: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، ورقم (٤) بعنوان نقص العادة.

والواقع: أن هذين الأمرين شرطان ضروريان لاعتبار الأمر الذي ظهر على يد الأنبياء معجزة.

وهذان الأمران يشير إليهما الآمدي حين يذكر شرائط المعجزة (أن تكون خارقة للعادة، وأن يتعذر على المبعوث إليه المعارضة) [2].

وقد سبق أن بينا بشيء من التفصيل هذين الشرطين بالنسبة للقرآن، فقد أظهر الله القرآن على يد نبيه محمد ـ ﷺ ـ وأيقن العرب أنه خارج عن مألوفاتهم في الخطاب، ومعهوداتهم في الكلام، رغم أنه من جنس لغتهم، واعترفوا بحلاوته، وأقروا بطلاوته، ولكنهم تركوا معارضتهم مع حاجتهم الشديدة لتلك المعارضة، ومع توفر دواعيهم لها، فكان هذان الأمران دليلاً على عجزهم من ناحية، ومن ناحية أخرى أصبح هذان الأمران ـ مع غيرهما ـ دليلاً دامغًا على إثبات وصدق نبوة نبينا محمدﷺ.

---

(١) الرماني: النكت ص١١٠.

(٢) أبكار الأفكار جـ٤ صـ١٨.

يقول القاضي عبدالجبار عن عجز العرب لما تحداهم الله بالقرآن الناقض لعادتهم، أنهم لم يطيقوا معارضة (بل ظهر منهم ما يقتضي الاعتراف بالقصور والعجز، فدل ذلك أجمع على أنه من قبل الله ـ تعالى ـ، وخص رسوله به ليدل على نبوته؛ لما فيه من نقض العادة التي توجب كونه معجزًا، وأنه في بابه بمنزلة ما ظهر على الأنبياء عليهم السلام من قلب العصا حية، وإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وقد كان القرآن بمثل صفتها فدل على نبوته ﷺ)[1].

ويلاحظ هنا أن القاضي عبدالجبار فعل كما فعل الرماني فقاس القرآن على غيره من المعجزات التي مثل لها في نقض العادة، وعجزهم عن الإتيان بمثلها، ليستدل في النهاية بهذين الشرطين على إعجاز القرآن وبالتالي صدق نبينا ﷺ ، كما دلت معجزات الأنبياء السابقين على إثبات وصدق نبوتهم ورسالاتهم.

(١) المغني جـ١٦ صـ٢٤٧ .

الخاتمة

وبعد هذه الجولة التي قضيناها مع أبي الحسن الرماني وآرائه الكلامية نستطيع أن نستخلص أهم النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة، والتي يمكن إيجازها فيما يلي:

أولاً: كان الرماني من أشهر علماء عصره في جميع العلوم التي اشتغل بها خاصة علوم اللغة التي برع فيها شرحًا وتأليفًا، وكذلك علم الكلام الذي تمذهب فيه بمذهب المعتزلة.

ثانيًا: كان هناك اتفاق على أن الرماني معتزلي تابع لفرقة الجبائية، وذلك راجع إلى تأثير شخصية أستاذه المباشر وهو ابن الإخشيد الذي كان معتزليًا جبائيًا.

ثالثًا: لم يكن الرماني شيعيًا حقيقيًا، بل كان يميل بجانب اعتزاله إلى التشيع وذلك راجع إلى طبيعة الحياة العقلية والسياسية التي اصطبغ بها العصر الذي عاش فيه الرماني وهو القرن الرابع الهجري، وقد كان الرماني من معتزلة بغداد الذين يذهبون إلى تفضيل علي ﷺ ، على سائر أصحاب النبي ـ ﷺ ـ .

رابعًا: وإذا كان هناك ميل أو تقارب من الرماني إلى الشيعة فإنه لم يكن قط رافضيًا، بل كان معاديًا للرافضة، مجادلاً لهم.

خامسًا: كان للرماني منهج مميز يقوم على التحليل والمقارنة والابتكار في كثير من الأحيان، بيد أنه قد مال إلى التقليد في بعض المسائل وفاءً لبعض شيوخ مذهبه.

سادسًا: هضم الرماني آراء سابقيه هضمًا جيدًا واستوعبها استيعابًا تامًا فكان ذلك سببًا في أن يكون صاحب تأثير قوي في اللاحقين.

سابعًا: توافق الرماني مع جماهير العلماء ـ سنة ومعتزلة ـ في إثبات صفة الوحدانية بدليل التمانع الذي غدا أشهر أدلة إثبات تلك الصفة وأبلغها، وكذلك ذهب إلى تأويل الصفات الخبرية التي ذكر نماذج منها وقام ببيانها بما يتفق مع تنزيه الله

تعالى عن مشابهة المخلوقين، وقد كان بذلك متوافقًا مع فريق كبير من العلماء الذين ذهبوا إلى التأويل، ولكنه لم يشر إلى أن هناك مذهبًا آخر معتمدًا في هذه القضية وهو التفويض وإمرار تلك النصوص على ظاهرها.

ثامنًا: انحاز الرماني انحيازًا تامًا لمذهبه في قضية أفعال الله وأفعال العباد، فنفى أن يكون الله خالقًا لفعل العبد، وفهم من لفظ الخلق وجهًا واحدًا وهو التقدير والتدبير، ولم يذكر قط ـ هو اللغوي الماهر ـ أن هناك معنى لغويًا صحيحًا للفظ الخلق وهو الإيجاد من عدم، فكان هذا منه حجرًا على اللغة وافق فيه أهل مذهبه وإن كان مخالفًا لصحيح اللغة!

وكذلك ذهب ـ مع فرقته ـ إلى أن الله لا يخلق الشر وإلى أن الله تعالى يجب عليه فعل الصلاح والأصلح.

تاسعًا: جاء الرماني في قضية إعجاز القرآن الكريم بآراء معتبرة لها قيمتها وأصبحت موضع تأثير كبير في كل من درس تلك القضية بعد الرماني.

عاشرًا: لم يقتصر الرماني على جانب واحد من جوانب الإعجاز بل ذكر أنها كثيرة ومتعددة أوصلها إلى سبعة، وقد كان في ستة منها متوافقًا مع جماهير المسلمين في تلك القضية، وخالف الإجماع حتى من فرقته في واحد من هذه الوجوه وهو القول بالصرفة الذي قلد فيه إبراهيم ابن سيار النظام رغم مخالفته للإجماع حتى من المعتزلة أنفسهم.

حادي عشر: اهتم الرماني بالإعجاز البلاغي اهتمامًا كبيرًا كمًا وكيفًا بحيث استحوذ على جل بحثه في تلك القضية، ولكنه في نفس الوقت لم يهمل جوانب الإعجاز الأخرى بل أشار إليها إشارات موجزة.

أهم المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم٠

ثانيًا: كتب السنة النبوية٠

ثالثًا: المصادر والمراجع وقد رتبتها أبجديًا حسب عنوان الكتاب كالتالي:

حرف الألف

١ – الإبانة عن أصول الديانة ــ الإمام الأشعري ــ تحقيق د/ فوقية حسين محمود ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٩٧هـ ـ دار الأنصار ـ القاهرة٠

٢ – إبراهيم بن سيار النظام وآراؤه الكلامية والفلسفية ــ د/ محمد عبدالهادي أبوريدة ــ تقديم فيصل عون ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠١٠م٠

٣ – إبكار الأفكار للآمدي ــ تحقيق د/ أحمد المهدي ــ الطبعة الثالثة سنة ٢٠٠٩م ـ دار الكتب القومية ـ القاهرة٠

٤ – أبوبكر الباقلاني ومفهومه لإعجاز القرآن ــ د/ أحمد جمال العمري ــ منشورات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٩٧٦م٠

٥ – أثر المعنى اللغوي على المسائل العقدية عند المتكلمين د/إبراهيم سليمان سويلم ـ الطبعة الأولى سنة ٢٠١٣م ـ المكتبة الأزهرية للتراث ـ القاهرة٠

٦ – الأربعين في أصول الدين ـ الرازي ـ تحقيق د/ عبدالله إسماعيل ود/إبراهيم سويلم ــ الطبعة الأولى سنة ٢٠٢٠م ــ مجمع البحوث الإسلامية ــ القاهرة٠

٧ – الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ــ الجويني ــ تحقيق/ زكريا عميرات ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٥م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت٠

٨ – أصول أهل السنة والجماعة المسماة رسالة أهل الثغر ــ الإمام الأشعري ــ تحقيق د/ محمد السيد الجليند ـ المكتبة الأزهرية للتراث ـ بدون تاريخ٠

٩ – الإعجاز البياني للقرآن ــ د/ عائشة عبدالرحمن ــ بنت الشاطئ ــ الطبعة الثالثة ــ دار المعارف ــ بدون تاريخ٠

١٠ – الإعجاز في دراسات السابقين ــ عبدالكريم الخطيب ــ دار الفكر العربي سنة ١٩٧٤م٠

١١ – الاقتصاد في الاعتقاد ــ الإمام الغزالي ــ بتحقيق عبدالله محمد الحليلي ــ الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٤م ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت٠

١٢ – الإمتاع والمؤانسة ــ أبوحيان التوحيدي ــ تحقيق محمد حسن إسماعيل ــ الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٣م ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت٠

١٣ – إنباه الرواة على أنباه النحاة ــ القفطي ــ بتحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ــ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٢م ــ دار الفكر العربي ــ القاهرة٠

١٤ – الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد ــ الخياط ــ تحقيق د/نيبرج ــ الطبعة الثانية سنة ١٩٩٣م ــ مكتبة الدار العربية للكتاب ــ بيروت٠

١٥ – الأنساب ــ السمعاني ــ تحقيق عبدالله عمر البارودي ــ دار الفكر ــ بيروت سنة ١٩٩٨م٠

١٦ – الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ــ الباقلاني ــ تحقيق الشيخ زاهد الكوثري ــ الطبعة الثانية سنة ٢٠٠٠م ــ المكتبة الأزهرية للتراث٠

حرف الباء

١٧ – بغية الوعاة في طبقات النحاة ــ السيوطي ــ بتحقيق/ محمد أبوالفضل إبراهيم ــ المكتبة العصرية ــ لبنان ــ بدون تاريخ٠

١٨ – بيان إعجاز القرآن ــ الخطابي ــ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ــ تحقيق/ محمد سلام ــ ومحمد خلف الله ــ الطبعة الثامنة سنة ٢٠١٥م ــ دار المعارف ــ القاهرة٠

حرف التاء

١٩ – تاريخ آداب العرب ــ مصطفى صادق الرافعي ــ دار الكتاب العربي ــ بدون تاريخ٠

٢٠ – تبيين كذب المفتري على الإمام الأشعري ــ ابن عساكر ــ الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٤هـ ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت٠

٢١ – تبصرة الأدلة في أصول الدين ــ أبوالمعين النسفي ــ تحقيق د/محمد الأنور عيسى ــ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م ــ المكتبة الأزهرية للتراث٠

٢٢ – التحبير لإيضاح معاني التيسير ــ الأمير الصنعاني ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٣٣هـ ــ مكتبة الرشد ــ الرياض٠

٢٣ – تحرير التحبير في صناعة الشعر ــ ابن أبي الأصبع ــ تحقيق د/حنفي محمد شرف ــ طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــ بدون تاريخ٠

٢٤ – التفسير اللغوي في القرآن الكريم ــ د/ مساعد الطيار ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٣٢هـ ــ دار ابن الجوزي ٠

٢٥ – تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل ــ الباقلاني ــ تحقيق عماد الدين حيدر ــ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧م ــ مؤسسة الكتب الثقافية ــ لبنان٠

٢٦ – تنزيه القرآن عن المطاعن ــ القاضي عبدالجبار ــ دار النهضة الحديثة ــ بيروت ــ بدون تاريخ٠

حرف الجيم

٢٧ – جمهرة اللغة ــ ابن دريد ــ تحقيق/ رمزي بعلبكي ــ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧م ــ دار العلم للملايين ــ بيروت٠

حرف الحاء

٢٨ – الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ــ آدم متز ــ ترجمة د/ محمد عبدالهادي أبوريدة ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠٨م٠

حرف الدال

٢٩ – دلائل الإعجاز ـ عبدالقاهر الجرجاني ـ تحقيق/ محمود شاكر ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٩٢م ـ مطبعة المدني ـ القاهرة٠

حرف الراء

٣٠ – الرسالة الشافية ـ الجرجاني ـ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ـ دار المعارف ـ بدون تاريخ٠

٣١ – الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه ـ د/ مازن المبارك ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م ـ دار الفكر ـ دمشق٠

حرف السين

٣٢ – سر الفصاحة ـ الخفاجي ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٢م ـ دار الكتب العلمية٠

٣٣ – سير أعلام النبلاء ـ الذهبي ـ دار الحديث ـ القاهرة سنة ٢٠٠٦م٠

حرف الشين

٣٤ – شرح الأصول الخمسة ـ القاضي عبدالجبار ـ بتحقيق د/عبدالكريم عثمان ـ الطبعة الثالثة ـ سنة ١٩٩٦م ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة٠

٣٥ – الشفا بتعريف حقوق المصطفى ـ القاضي عياض ـ تحقيق/ عامر الجزار ـ الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٤م ـ دار الحديث بالقاهرة٠

حرف الصاد

٣٦ – الصناعتين ـ أبوهلال العسكري ـ الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ ـ المكتبة العصرية ـ بيروت٠

حرف الضاد

٣٧ – ضحى الإسلام ـ أحمد أمين ـ مؤسسة هنداوي بالقاهرة ـ بدون تاريخ٠

حرف الطاء

٣٨ – طبقات المفسرين ـ الأدنهوي ـ تحقيق/ سليمان الخزي ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م ـ مكتبة العلوم والحكم ـ السعودية٠

٣٩ – طبقات المفسرين ـ السيوطي ـ تحقيق/ محمد علي عمر ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٩٦هـ ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة٠

٤٠ – الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ـ يحيى بن حمزة العلوي ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٢٣هـ ـ المكتبة العصرية ـ بيروت٠

حرف العين

٤١ – العمدة في محاسن الشعر وآدابه ـ ابن رشيق القيرواني ـ تحقيق/ محمد محيى الدين عبدالحميد ـ الطبعة الخامسة سنة ١٩٨١م ـ دار الجيل ـ بيروت٠

حرف الغين

٤٢ – غاية المرام في علام الكلام ـ الآمدي ـ تحقيق د/ حسن الشافعي ـ طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٩٧١م٠

٤٣ – غرر الفوائد ودرر القلائد ـ المرتضى ـ تحقيق/ محمد أبوالفضل إبراهيم ـ الطبعة الثانية سنة ١٤٣٨هـ ـ مكتبة ذوى القربى ـ إيران٠

حرف الفاء

٤٤ – الفرق الإسلامية مدخل ودراسة ـ د/ علي عبدالفتاح المغربي ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦م ـ مكتبة وهبة٠

٤٥ – الفرق بين الفرق ـ البغدادي ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧م ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت٠

٤٦ – الفصل في الملل والنحل ـ ابن حزم ـ مكتبة الخانجي ـ بدون تاريخ٠

٤٧ – الفهرست ـ ابن النديم ـ تحقيق/ إبراهيم رمضان ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٩٧م ـ دار المعرفة ـ بيروت٠

٤٨ – في علم الكلام د/ أحمد محمود صبحي ــ مؤسسة الثقافة الجامعية ــ الإسكندرية سنة ٢٠٠٤م٠

حرف الكاف

٤٩ – كتاب التوحيد ــ الإمام الماتريدي ــ تحقيق د/ فتح الله خليف ــ دار الجامعات المصرية ـ بدون تاريخ٠

٥٠ – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ــ الزمخشري ــ الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت٠

حرف اللام

٥١ – لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام ـ السكوني ـ منشورات الجامعة التونسية ـ بدون تاريخ٠

٥٢ – لسان العرب ـ ابن منظور ـ دار صادر ـ بيروت ـ بدون تاريخ٠

٥٣ – لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة ـ الجويني ـ بتحقيق د/ فوقية حسين محمود ــ الطبعة الأولى سنة ١٩٦٥م ــ عالم الكتب ــ بيروت٠

٥٤ – لوامع اليقين في أصول الدين ـ د/ عبدالله الشاذلي ـ الطبعة الأولى سنة ٢٠١٤م ـ المكتبة الأزهرية للتراث٠

حرف الميم

٥٥ – مباحث في إعجاز القرآن ــ د/ مصطفى مسلم ــ الطبعة الثالثة سنة ٢٠٠٥م ـ دار القلم ـ دمشق٠

٥٦ – متشابه القرآن ـ القاضي عبدالجبار ـ تحقيق/ عدنان زرزور ـ دار التراث بالقاهرة ـ بدون تاريخ٠

٥٧ – المحيط بالتكليف ــ القاضي عبدالجبار ــ تحقيق/ عمر السيد عزمي ــ الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ بدون تاريخ٠

٥٨ – المختصر في أصول الدين ـ القاضي عبدالجبار بن أحمد ـ ضمن رسائل العدل والتوحيد بتحقيق د/ محمد عمارة٠

٥٩ – المدخل إلى دراسة علم الكلام ـ د/ حسن الشافعي ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٩١م ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة٠

٦٠ – المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم ـ د/ عوض الله حجازي ـ الطبعة التاسعة سنة ١٩٩٨م ـ دار الطباعة المحمدية ـ القاهرة٠

٦١ – المسائل الخمسون ـ الرازي ـ تحقيق د/ نظير عياد ود/عبدالله إسماعيل ـ الطبعة الأولى سنة ٢٠١٥م ـ المكتبة الأزهرية للتراث ـ القاهرة٠

٦٢ – المستصفى في علم الأصول ـ الإمام الغزالي ـ تحقيق/ محمد عبدالسلام عبدالشافي ـ الطبعة الأولى سنة ١٤١٣هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت٠

٦٣ – معترك الأقران في إعجاز القرآن ـ السيوطي ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت٠

٦٤ – المعتزلة ـ زهدي جار الله ـ منشورات النادي العربي ـ بيروت سنة ١٩٤٧م٠

٦٥ – المغني في أبواب التوحيد والعدل ـ القاضي عبدالجبار بن أحمد ـ بتحقيق محمود قاسم ـ الطبعة الأولى ـ المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة٠

٦٦ – مقالات الإسلاميين ـ الإمام الأشعري ـ تحقيق هلموت ريتر ـ دار إحياء التراث العربي ـ بدون تايخ٠

٦٧ – الملل والنحل ـ الشهرستاني ـ تحقيق محمد سيد كيلاني ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ ـ دار المعرفة ـ بيروت٠

٦٨ – مناهج الأدلة ـ ابن رشد ـ تحقيق د/ محمود قاسم ـ الطبعة الثالثة ـ مكتبة الأنجلو ـ بدون تارخ٠

٦٩ – مناهج اللغويين في تقرير العقيدة ـ د/ محمد الشيخ عليو ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٢٧هـ ـ مكتبة المنهاج ـ الرياض٠

٧٠ – المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ـ ابن الجوزي ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٥٨هـ ـ دار صادر ـ بيروت٠

٧١ – المنهاج في أصول الدين ـ الزمخشري ـ تحقيق/ عباس حسين عيسى ـ مكتبة مركز بدر ـ بدون تاريخ ـ صنعاء٠

٧٢ – منهج الزمخشري في تفسير القرآن ـ د/ مصطفى الجويني ـ طبعة دار المعارف ـ بدون تاريخ٠

٧٣ – المواقف في علم الكلام ـ الإيجي ـ تحقيق د/ عبدالرحمن عميرة ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م ـ دار الجيل ـ بيروت٠

حرف النون

٧٤ – النكت في إعجاز القرآن ـ الرماني ـ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ـ تحقيق/ محمد خلف الله ـ ود/ محمد سلام ـ الطبعة الثامنة ـ دار المعارف ـ بدون تاريخ٠

٧٥ – نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم٠

٧٦ – نهاية الإقدام في علم الكلام ـ الشهرستاني ـ تحقيق الفريد جيوم ـ مكتبة المتنبي ـ بدون تاريخ٠

حرف الواو

٧٧ – وفيات الأعيان ـ ابن خلكان ـ تحقيق/ إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت ـ بدون تاريخ٠

حرف الهاء

٧٨ – الهادي في أصول الدين ـ الخبازي ـ تحقيق عادل بيك ـ طبعة استانبول سنة ٢٠٠٦م٠